القوى الإنجازية وآليات تعزيزها في (آيات سلب التساوي) في القرآن الكريم "مقاربة لسانية تداولية"

د. صباح صابر حسين

أستاذ العلوم اللغوية المساعد

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية- جامعة عين شمس

مستخلص:

يعنى هذا البحث المعنون بـ" القوى الإنجازية وآليات تعزيزها في (آيات سلب التساوي) في القرآن الكريم " مقاربة لسانية تداولية" بإلقاء الضوء على قوى الإنجاز القولي والمستلزم، وآليات تعزيزهما،وقد اتخذت آيات سلب التساوي في القرآن الكريم. وهي بنية إنجازية خاصة محددة في توجيه المتلقي، مكونة من صيغة السلب (النفي) المقترنة بالفعل الإنجازي (المساواة) بتلفظاته المختلفة؛ لتكون ميدانًا تطبيقيًّا قائما على مرتكزات الدرس التداولي ببعديه التعبيري والقصدي على حد سواء.

وقد وزعت معالجة هذا البحث على مقدمة ومدخل، ثم أعقب ذلك ثلاثة مباحث متوالية، وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، أما مباحث الدراسة؛ فجاءت على النحو الآتي:

– المبحث الأول: القوى الإنجازية القولية في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم تصنيفًا ودلالة.

– المطلب الأول: سلب التساوي بين الفعلين.

– المطلب الثاني: سلب التساوي بين الفاعلين.

– المبحث الثاني: القوى الإنجازية المستلزمة في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم.

– المطلب الأول: القوى الإنجازية المستلزمة للتوجيهيات.

– المطلب الثاني: القوى الإنجازية المستلزمة للإخباريات والوعديات.

– المبحث الثالث: آليات تعزيز الإنجاز اللغوي في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم.

– المطلب الأول:الآليات اللغوية(التركيبية والمعجمية) المعززة للإنجاز اللغوي.

– المطلب الثاني: الآليات البلاغية المعززة للإنجاز اللغوي.

ثم جاءت الخاتمة والتوصيات، وختم البحث بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: آليات، الإنجاز، آيات سلب التساوي، القصدية، القوى.

Achievement forces and mechanisms for strengthening them in (verses of deprivation of equality) in the Noble Qur'an " A Pragmatic Linguistic Approach"

Dr. Sabah Saber Hussain
Assistant Prof. Dr. of Linguistics
Faculty of Girls for Arts, Sciences and Education - Ain Shams University

Abstract:

sheds light on the forces of verbal achievement and the requisite, and the mechanisms of strengthening them have taken verses robbing equality in the Holy Qur'an. It is a special achievement structure specific to the orientation of the recipient, consisting of the negative formula (negation) associated with the achievement act (equality) with its various utterances, to be an applied field on the foundations of the deliberative lesson in both its expressive and intentional dimensions.

The treatment of this research was distributed on the introduction and introduction, followed by three consecutive sections, a conclusion and a list of sources and references, while the study topics were as follows :

Chapter I: the powers of verbal achievement in the verses (robbing of equality) in the Holy Qur'an classification and significance.

The first requirement: the deprivation of equality between the two verbs.

The second requirement: the deprivation of equality between the actors.

Chapter II: the necessary accomplishment forces in the verses (robbing of equality) in the Holy Qur'an.

Chapter III: mechanisms to enhance linguistic achievement in the verses (robbing of equality) in the Holy Qur'an.

Then came the conclusion and recommendations, and the research concluded with a list of sources and references.

Keywords: mechanisms, achievement, verses of deprivation of equality, intentionality, forces.

أولا- مقدمة:

إن عناية اللغويين، القدامى والمحدثين، بمحددات الأداء اللغوي لم تقتصر على المنجز اللفظي للخطاب فحسب؛ بل تجاوزت ذلك إلى العناية بمقاصد المتكلم أو ما ثوى خلف منطوقه القولي من معانٍ خاصة بسياق تواصلي معين، يسعى المتلقون إلى تحصيلها بمساعٍ شتى، وهذان المنجزان- اللفظي والقصدي أو المستلزم- يشكلان - معا- الأداء اللغوي للخطاب، وينهضان بوظائف اللغة التعبيرية والقصدية والتأثيرية. هذه العلاقة بين المقاصد الكلامية والتداولية يؤكدها ابن عاشور في قوله: "وتشكل ظهور أفعال اللغة صلة جديدة بين المقصدية والتداولية؛ فبدون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدل بكلام المتكلم على ما يريد؛ لأن المواضعة وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيد فهي غير كافية؛ إذ لابد من اعتبار المتكلم أي قصده.[١]"؛ فالخطاب- المكتوب أو المنطوق- يمثل سلسلة مترابطة من الإنجاز القولي تستلزم من المتكلم القيام بوظائف متعددة كأن يخبر، أو يأمر، أو ينهى، أو يعِد، أو يحث، أو يرغب في، أو يرغّب عن، أو يمدح، أو يذم، أو غير ذلك.

١) إشكالية البحث:

يعنى هذا البحث المعنون بـ" القوى الإنجازية وآليات تعزيزها في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم مقاربة لسانية تداولية" بإلقاء الضوء على قوى الإنجاز القولي والمستلزم، وآليات تعزيزهما مستقيًا مادة خطابه من معين القرآن الكريم الذي لا يجف ولا يغيض. وقد قامت محاوره البحثية على مرتكزات اللسانيات التداولية، تلك التي نهض البحث على مجموعة من أهم عناصرها، وهي:

- القوى الإنجازية القولية.
- القوى الإنجازية المستلزمة (القصدية).
- آليات تعزيزهما.

[١] . مقاصد الشريعة الإسلامية- الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) - ط٢- دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس ٢٠٠٧م - ص١٩٩

وقد نهضت هذه الرؤية البحثية التي اتخذت آيات سلب التساوي في القرآن الكريم- وهي بنية إنجازية خاصة محددة في توجيه المتلقي، مكونة من صيغة السلب (النفي) المقترنة بالفعل الإنجازي (المساواة) بتلفظاته المختلفة- ميدانًا تطبيقيًّا قائمًا على مرتكزات الدرس التداولي ببعديه التعبيري والقصدي على حد سواء.

٢) أهمية البحث وأسباب اختياره.

تأتي أهمية هذا البحث وأسباب اختياره ،من جوانب عدة، لعل أبرزها:

- انبثقت أهمية هذا البحث من أهمية العينة التطبيقية المدروسة وهي آيات سلب التساوي في القرآن الكريم. فالخطاب القرآني في أكثر نماذجه خطاب تداولي من الدرجة الأولى، وذلك بفضل تنوع أساليبه وما ثوى خلفها من مقاصد متعددة، وتنوع أحوال المخاطبين ومستوياتهم الفكرية المتفاوتة ودرجاتهم الاستيعابية المتنوعة، وآيات سلب التساوي على وجه الخصوص؛ لما تتضمنه من تبيان لأفضلية فريق على فريق آخر أو شيء على شيء آخر أو عمل على عمل آخر وتعيين البون الشاسع بينهما بآليات لغوية متنوعة.
- تبيان وظيفة القوى الإنجازية القولية في التصنيف الدلالي لآيات سلب التساوي في القرآن الكريم.
- الكشف عما كمن خلف قوى الإنجاز القولي لآيات سلب التساوي من قوى إنجازية استلزمتها القرائن المقامية والمقالية.
- الكشف عن الآليات اللغوية والبلاغية التي عززت قوى الإنجازين القولي والمستلزم في آيات سلب التساوي وبيان وظيفتها في توجيه دلالات الآيات الكريمة.

٣) التساؤلات البحثية:

تسعى هذه الرؤية البحثية إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- هل تجاوزت قوى الإنجاز القولي في آيات سلب التساوي صيغتها المباشرة إلى معانٍ أُخَر استلزمها المقام؟

- ما مدى أثر قوى الإنجاز القولي في التصنيف الدلالي للآيات الكريمة؟
- هل توجهت الآيات الكريمة إلى سلب التساوي بين الفاعلين أكثر أم بين الفعليْنِ؟ وما دلالة ذلك؟
- كيف أسهمت المنطوقات القولية في الآيات الكريمة في إظهار القوى الإنجازية، التي استلزمها السياق؟ وما أبرز مقاصدها؟
- إلى أي مدى شكَّلت الآليات اللغوية والبلاغية في الآيات الكريمة إطارًا تعزيزيًّا لدلالتها المقصودة؟

٤) منهج البحث وإجراءاته:

اقتضت طبيعة الدراسة انتهاج المنهج الوصفي، استقصاءً وتحليلًا، الذي يعنى بوصف الظاهرة المدروسة وتحليلها وفقًا لمعطيات الحقل اللساني التداولي. وراعيتُ في ذلك ما يأتي:

- التأكد من خلو المكتبة اللغوية من دراسة لسانية تداولية ترتكز على آيات سلب التساوي في القرآن الكريم على وجه خاص وفق هذه المعالجة البحثية وذلك بالرجوع إلى مواقع بحثية متنوعة[١].
- تحرير مصطلحات الدراسة (التداولية - قوى الإنجاز القولي- قوى الإنجاز المستلزم — آليات تعزيز الإنجاز اللغوي — عرض لآيات سلب التساوي حسب ورودها بترتيب سور القرآن الكريم)، وذلك في إطار نظري ممهد.
- الاقتصار على الآيات الكريمة التي صرح فيها الخطاب القرآني بألفاظ سلب التساوي، من مثل:(لا يستوي — لا تستوي- لا يستويان — لا يستوون- ليسوا سواء).
- الرجوع إلى مجموعة متنوعة من التفاسير، من مثل:

١- بنك المعرفة المصري

- محرك البحث جوجل

- دار المنظومة: موقع: http://www.mandumah.com - http://www.ekb.eg/ .

التاريخ: السبت، ٢٠٢٣/١٠/٢٨.

- جامع البيان لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)
- الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١هـ)
- البحر المحيط لأبي حيان(ت٧٤٥هـ)
- فتح القدير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)
- روح المعاني للآلوسي (ت١٢٧٠هـ)
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ت ١٣٧٦هـ)
- التحرير والتنوير لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)
- زهرة التفاسير لأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ).

-قيام هذه الرؤية البحثية على جعل (التوجيهيات- الإخباريات- الوعديات) تشكل القوى الإنجازية القولية الكبرى. أما ما ثوى خلفها من قوى إنجازية استلزمها المقام؛ فقد شكلت القوى الإنجازية المستلزمة.

-تقسيم مباحث الدراسة وفقًا لمرتكزات الدرس التداولي الرئيسة، وهي: (قوى الإنجاز القولي – قوى الإنجاز المستلزم – الآليات اللغوية والبلاغية التي أسهمت في تعزيزهما).

٥) خطة البحث:

وزعت معالجة هذا البحث على مقدمة ومدخل، ثم أعقب ذلك عرض المباحث، والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، وجاء بيان ذلك على النحو الآتي:

أولا-المقدمة: وتضمنت عرضًا لإشكالية الدراسة وأهميتها ،وأسباب اختيار الموضوع، وتساؤلاته البحثية ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة الدراسة.

ثانيا- مدخل الدراسة: وفيه تحرير لمصطلحات الدراسة بصورة موجزة.

ثالثا- مباحث الدراسة:

وجاءت المباحث على النحو الآتي:

-المبحث الأول:القوى الإنجازية القولية في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم تصنيفًا ودلالة.

- المطلب الأول: سلب التساوي بين الفعلين.
- المطلب الثاني: سلب التساوي بين الفاعلين.

- المبحث الثاني: القوى الإنجازية المستلزمة في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: القوى الإنجازية المستلزمة للتوجيهيات.
- المطلب الثاني: القوى الإنجازية المستلزمة للإخباريات والوعديات.

- المبحث الثالث: آليات تعزيز الإنجاز اللغوي في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: الآليات اللغوية(التركيبية والمعجمية) المعززة للإنجاز اللغوي.
- المطلب الثاني: الآليات البلاغية المعززة للإنجاز اللغوي.
- رابعا- الخاتمة والتوصيات.
- خامسا- قائمة المصادر والمراجع.

– مدخل:

إن من متطلبات إنجاز هذه الرؤية البحثية الوقوف إزاء جملة من المفاهيم التأسيسية المتعلقة بها، ومنها: التداولية، القوى الإنجازية القولية، القوى الإنجازية المستلزمة، تعزيز الإنجاز اللغوي، آيات سلب التساوي في القرآن الكريم.بوصفها كلمات مفتاحية استلزم المنهج البحثي إيضاحها أولا.

أولا: التداولية:

هذا المصطلح الحديث يعدُّ أحد ترجمات مصطلح pragmatic(١)؛ فثمة من ترجمه إلى النفعية والذرائعية، والتخاطبية والاستعمالية والوظيفية؛ ولكن ظل مصطلح(التداولية) أكثرها رسوخًا في البحث اللساني؛ منذ أن أدخله الباحث المغربي طه عبد الرحمن إلى الثقافة العربية عام ١٩٧٠م ولقي قبولا لدى الدارسين لدلالته على الاستعمال والتفاعل في آنٍ واحد(٢).

ومن الباحثين المحدثين من أخذ على عاتقه التأصيل لهذا الرافد اللساني الحديث في محاولة لإثبات عناية البحث اللساني في طلائعه الأولى بمحددات الدرس التداولي الحديث الذي تمركز محوره حول نظرية الأفعال الكلامية وقد حاولوا تطبيق مفهومها على الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى؛ سعيًا لتثمين جهودهم وتأكيدًا لأسبقيتهم في العناية بالسياق التواصلي وعناصر تحققه بين أطراف العملية التخاطبية؛ مشيرين في الآن ذاته إلى النحاة والبلاغيين القدامى الذين أشاروا إلى الأفعال الكلامية ضمن نظرية الخبر والإنشاء في مصنفاتهم.

---

١. pragmatic:هذا المصطلح في أصل وضعه يرجع إلى الكلمة اليونانية:pragmatikos والفرنسية:pragmate التي تعني مهارة في استخدام القانون والعمل، وفي عام ١٦١٦م أصبحت تستخدم في موضوعات رسمية أو فنية، ثم في عام ١٩٧٣م أخذ المصطلح معنى فلسفي يعنى بالعلاقة بين التعبير اللغوي ومستخدميه. ينظر:
- Merriam websters- collegiate dictionary – Eleventh library of congress- p974

٢. ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام- د. طه عبد الرحمن- ط٢- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- ٢٠٠٠م- ص٢٨

فتوزعت الظاهرة بين فروع معرفية متعددة، وخاض في أغوارها علماء أجلاء غير أنهم لم يفردوها بالبحث والتأليف ولا قصدوها لذاتها، ومنهم نحاة وبلاغيون، من أمثال: سيبويه (ت١٨٠هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ)، وسعد الدين التفتازاني(ت ٧٩٢هـ)، وغيرهم([1]).

وقد شرع اللغويون المحدثون في الحديث عن التداولية وزخرت بها مؤلفاتهم- تنظيرًا وتطبيقًا- إذ لم يستقر كونها اتجاهًا راسخًا إلا بعد ممارسة لغوية ممتدة لدراسات غلبت على هذا الاتجاه، وكان أبرزها نظرية الأفعال الكلامية التي يعدها أصحاب هذا الاتجاه تداولية الدرجة الثالثة([2]).

وفي كتابه الرائد(كيف ننجز الأشياء بالكلمات) how to do thing with words قسَّم أوستين الأفعال الكلامية إلى أصناف ثلاثة:

- الفعل اللغوي أو فعل القول- الفعل المتضمن في القول- الفعل الناتج عن القول وقد أطلق عليها مترجم الكتاب، على الترتيب،(فعل الكلام- قوة فعل الكلام- لازم فعل الكلام([3])؛ فهي ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدًا تلو الآخر؛ بل هي جوانب لفعل واحد([4]).

---

[1] . التداولية عند العلماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي- د. مسعود صحراوي- ط١- دار الطليعة- بيروت- لبنان ٢٠٠٥م – ص٦-٧- ينظر أيضًا: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- د. خليفة بوجادي-ط١- بيت الحكمة للنشر والتوزيع- الجزائر ٢٠٠٩م- ص٦٣

[2] . وتعدُّ الإشاريَّاتُ أُولَى دَرَجَاتِ التَّحْلِيلِ التَّدَاوُلِيّ وفقًا لما بيّنَهُ هانسون Hanson. فقد مازَ بينَ ثلاثِ درجاتٍ للتَدَاوُلِيَّةِ؛ فتَدَاوُلِيَّةُ الدَّرجَةِ الأُولَى هي: دِرَاسَةٌ للرُّموزِ الإشاريَّةِ ضمنَ ظروفِ استعمالِها(أي سياق تلفظها)، وتَداوليَّةُ الدَّرجَةِ الثَّانيةِ هي: دِرَاسَةُ طريقةِ تعبيرِ القضايا في ارتباطِها بالجملةِ المتلفَّظِ بها، أَمَّا تَدَاوُلِيَّةُ الدَّرجةِ الثَّالثةِ؛ فقد تَمَثَّلَتْ في نظريَّةِ أَفْعَالِ الكَلَامِ.

ينظر: أرمينيكو، فرانسواز- المقاربة التَّدَاوُلِيّة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب ١٩٨٦- ص٣٨.

[3] .نظرية الأفعال الكلامية العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)- أوستين- د. عبد القادر قنيني- إفريقيا الشرق ١٩٩١م- ص١٢٢- ١٢٣

[4] . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – د. محمود نحلة – ص٦٦

غير أن جون أوستين أقرَّ بأنه غير راضٍ عن هذا التصنيف؛ مما دفع تلميذه(سيرل) إلى تطوير هذه النظرية من خلال تمييزه بين نوعين من الأفعال الإنجازية:

- الأفعال الإنجازية المباشرة: وهي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي يكون ما يقوله مطابقًا لما يعنيه.

- الأفعال الإنجازية غير المباشرة: وهي تلك الأفعال التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، وقد قسمها(**سيرل**) أصنافًا خمسة([1])، على النحو الآتي:

- **الإخباريات:** وفيها يصف المتكلم واقعة معينة ويحتمل وصفه الصدق والكذب.
- **التوجيهيات:** ومنها الأمر والنصح والاستعطاف والتشجيع، وفيها يحاول المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين.
- **الالتزاميات:** وتنهض على التزام المتكلم فعل شيء في المستقبل، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، ومنها الوعد، والوصية. وتشارك أفعال التوجيهيات في ارتباطهما بالمستقبل.
- **التعبيريات:** أما التعبيريات فغرضها الإنجازي يعبر عن الموقف النفسي ومنها المواساة والتهنئة والاعتذار والشكر.
- **الإعلانيات:** والصنف الأخير من الأفعال الإنجازية غير المباشرة هو(الإعلانيات) وأداؤها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي فإن أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحربُ معلنة.

وقد أفادت رؤيتي البحثية من هذه التصنيفات السابقة ومصطلحاتها؛ غير أنها اتخذت مسارًا تصنيفيًّا آخر نهض على قوى([2]) الإنجاز في آيات سلب التساوي، وذلك على النحو الآتي إيجازه:

---

[1] .آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر– د. محمود نحلة– ص٤٦–٤٩

[2] . آثرتُ التعبير بصيغة الجمع (قوى) في عنوان البحث وفي متنه ؛ ليتناسب مع احتمال الآيات القرآنية أكثر من قوة قولية وأُخر مستلزمة وكلها تصطف لتخدم المعنى المراد.

- المسار الأول: قوى الإنجاز القولي.

- المسار الثاني: قوى الإنجاز المستلزم.

- المسار الثالث: آليات تعزيزهما.

ثانيا: قوى الإنجاز القولي:

هي إحدى السبيلين اللتين لا غنى عنهما في أداء المعنى وإيصاله إلى المتلقي — قوى الإنجاز القولي وقوى الإنجاز المستلزم- وأقصد بها هنا قوى الخطاب الحرفية المؤشَّرة بالأدوات اللغوية التي يتلفظ بها المرسل وفق ما يقتضيه سياق التلفظ؛ تحقيقًا لإرادته وتعبيرًا عن مقاصده، وتعد قسيمًا لقوى الإنجاز المستلزم؛ فالقوى القولية للإنجاز اللغوي هي المسرح التخاطبي الذي ينشىء فيه المرسل خطابه ويتلقاه مستقبله.

وقد حدد (أوستين) قوى الإنجاز القولي بإنتاج وحدات صوتية وصياغة ألفاظ أو كلمات حسب أبنية وطبقًا لقواعد نحوية وإنتاج دلالات تُسند إلى الألفاظ والكلمات بحيث يكون لها معنى وإحالة([1]).

وتتمة لإنجاز قوى القول بصورتها الصحيحة التي تحقق الأهداف التواصلية؛ لابد أن تتآزر معها مؤشرات الزمان والمكان والعلائق بين أفراد الحدث التخاطبي وغير ذلك من عناصر السياق غير اللغوي ؛ إذ يعد ذلك كله مدخلا يعين المتلقي على إدراك قوى الإنجاز المستلزم تلك التي تبرز المقصد الحقيقي للمتكلم وإلى ذلك أشار شكري المبخوت قائلا:" وليس يعسُر إذا سلَّمنا بهذا، أن نرى في قوة القول النواة الصلبة والأساسية لنظرية الأعمال اللغوية([2])."وقد اقتضت قوى الإنجاز القولي في هذه الرؤية البحثية تحديدًا للمجالات الدلالية لآيات سلب التساوي في القرآن الكريم وعرضًا لأقوال المفسرين في الآيات الكريمة وأوجهها التفسيرية المحتملة ، كما سيرد ذكره.

[1] . دائرة الأعمال اللغوية- د.شكري المبخوت- ط١- دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠١٠م - ص٢٢

[2] . دائرة الأعمال اللغوية- ص٥٢

ثالثا: القوى الإنجازية المستلزمة:

وأقصد بها هنا القوى التي تخالف النمط القولي وتنجم غالبا عن استلزام مقالي واستلزام مقامي في آنٍ واحد؛ الأمر الذي يعدُّ برهنة على حقيقة أن عملية التواصل اللغوي لا تتم فقط بمجرد القول أو التلفظ بالمنطوق القولي؛ فقد تنسحب القوة الإنجازية القولية انسحابًا جزئيًّا تاركة الفضاء التواصلي لتشغله القوة الإنجازية المستلزمة؛ لتعيد تشكيله وتكشف عن مقصد المتكلم.

ويجمع (الشهري) القوتين الإنجازيتين في تحديده الشكل اللغوي للخطاب في صنفين اثنين؛ فإما أن يكون"قصدًا مباشرًا، أي إن القصد يتضح في الخطاب مباشرة، وإما قصدًا غير مباشر، بأن يكون المعنى مستلزمًا من شكل الخطاب وبالتالي يصبح شكلًا يستلزم قصدًا غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول أو الكلام([1])."

ويوضح شكري المبخوت الفرق بين القوتين(القولية والمستلزمة)؛إذ يسوق فرضية(سيرل) الجديدة في هذا السياق؛ قائلا:" وحيث ثبت اختياريًّا أن استعمالات لغوية عديدة تتحقق فيها قوة الالتماس مثلا بتركيب الاستفهام أو يتوسل فيها بتركيب دال على الإثبات لتحقيق قوة الأمر، أوجد سيرل فرضية جديدة تتصل بعدم المباشرة ومفادها:" إذا وافق معنى القول معنى المتكلم كان العمل اللغوي مباشرًا وإذا اختلفا كان العمل اللغوي غير مباشر([2])." وتأسيسًا على ما سبق يمكن تعريف القوى الإنجازية بأنها تلك القدرة الفاعلة والطاقة النشطة التي تتشكل الأفعال الإنجازية بمقتضاها متخذة في ذلك مسارين لا ينفصلان هما : قوى الإنجاز القولي ، وقوى الإنجاز المستلزم.

[1] . إستراتيجيات الخطاب- عبد الهادي الشهري- دار الكتاب الجديد – ٢٠١٤- المقدمة.

[2] . دائرة الأعمال اللغوية – ص٢٢

رابعا: تعزيز الإنجاز اللغوي:

قد يعمد مرسل الخطاب إلى تعزيز منجزه اللغوي؛ تحقيقًا لمآربه التواصلية؛ فقد يشرع في تقوية منجزه؛ رغبة في إيصال مقاصده إلى متلقيه؛ بغية التأثير فيهم ونقلهم من حالة الرفض والتكذيب إلى حالة الإذعان والتصديق والاقتناع؛ الأمر الذي يؤشر إلى نجاح التواصل اللغوي ويؤكد التماسك الاجتماعي بين طرفي العملية التخاطبية، والحال هذه إذا ما وظف المرسل آليات إضعاف الخطاب التي قد تخفف من حدة إنجازه اللغوي وفي الوقت ذاته تقوي إيمان المتلقي بقضيته وتزيده قناعة بأفكار المرسل الذي يتحرى في ذلك كله سبلا لغوية شتى تعكس مدى التزامه بصدق قضيته التي يعبر عنها منجزه اللغوي الذي يعد وسيلته اللغوية المعبرة عن حالته المعرفية.

إن قوة المنطوق الإنجازية جزءٌ من بنيته الدلالية وتعزيزها يعدُّ مطلبًا سياقيًّا وفق مقتضيات الاستعمال؛ فهي:" الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق([1])." وتجدر الإشارة إلى أن اللغويين المحدثين صنفوا الآليات الموظفة في تعديل الإنجاز اللغوي إلى صنفين:

- الآليات اللغوية التي تشتمل على الآليات التركيبية والمعجمية والخطابية.
- والآليات غير اللغوية" كالسلوكيات الحركية، مثل: الحركات الجسمية وتعبيرات الوجه والعينين ونحوهما([2])."

ويشير الدكتور مُحَمَّد العبد إلى الدور التواصلي لهذه الآليات بقوله:" يمكن لهذه الوسائل الحركية أن تصنع بمفردها موقفا اتصاليًّا خاطفًا، ولكن وظائفها الخطابية تظهر فعالياتها مصاحبة أفعال الكلام من أجل ذلك كان(جون أوستين) يسميها مصاحبات المنطوق([3])." وقد اقتضت الطبيعة التعبيرية لآيات سلب التساوي الحديث عن آليات التعزيز اللغوية فحسب.

---

[1] . النص والخطاب والاتصال- د. مُحَمَّد العبد- الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة ٢٠١٤م- ص٢٢٣

[2] . النص والخطاب والاتصال- ص١٤٧

[3] . السابق نفسه.

خامسًا: آيات سلب التساوي مرتبة بحسب ورودها في سور القرآن الكريم:

وقد جاءت على النحو الآتي:

-"لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)" آل عمران.

-"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)"النساء.

-"قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)" المائدة.

-"قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)"الأنعام.

-" أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)"التوبة.

-"مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)"هود.

-" قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)" الرعد.

-" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)" النحل.

-" أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨)"السجدة.

-"وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢)" فاطر.

-" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)"فاطر.

-" أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)"الزمر.

-" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)" الزمر.

-"وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)" غافر.

-" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (٣٤) فصلت.

-" وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)"الحديد.

-"لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)" الحشر.

المبحث الأول

القوة الإنجازية القولية لآيات سلب التساوي في القرآن الكريم: تصنيفًا ودلالة

سعى هذا المبحث إلى تفسير موجز للآيات الكريمة وذلك باستقاء المادة المفسِّرة من مجموعة متنوعة من التفاسير؛لتكون عونًا على استخلاص القوى الإنجازية المستلزمة الثاوية خلف إنجازها القولي، وتصنيف الآيات الكريمة إلى حقلين دلاليين يمثلان مطلبين، على النحو الآتي:

المطلب الأول: سلب التساوي بين الفعلين:

وقد انتفى التساوي فيها بين مجموعة من الأفعال:

- **سلب التساوي بين الخبيث والطيب:**

فقد كشفت آية سورة المائدة: "قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)" عن أمر الله –تعالى– لنبيه أن يخبر الناس بأن الخير والشر لا يستويان وأن الخبيث والطيب لا يتساويان؛ فهو جزء من رسالته،ﷺ، يذكر الناس به؛ ليعلموا أنه من المحال أن تكون معاملة الخبيثين كمعاملة الطيبين وهو من الأمور المعلومة التي تقتنع بها الفطر السليمة وتدركها العقول المستقيمة وتذعن إليها؛ رغبة ورهبة:" وإذا كانت تلك هي القاعدة الإنسانية العالية، والعادلة، فإنه لا بد من عقاب المسيء، وثواب المحسن، ولكن الباطل له لجاجة وفيه كثرة؛ لأنه مجاوبة للذائذ الشهوات، وما يستلذ يكثر، وما يطاوع الهوى يزيد، وما يكون فيه صبر وضبط نفس يقل، وإن كان طيبا، ومهما يكثر الشر لن يتساوى مع الخير؛ ولذا قال –سبحانه-: ولو أعجبك كثرة الخبيث أي: ولو أثار نفسك وعجبك واسترعى نظرك كون الخبيث كثيرا، إن الشر مهما يكثر لا يمكن أن يستحسن شرعا أو ترضى به الأخلاق، ولا يمكن

أن ينقلب بالكثرة مساويا للخير بل إنه كلما كثر، وجبت مقاومته بشدة، وبمقدار كثرته تكون شدة المقاومة؛ وذلك فرق ما بين شريعة الله تعالى وقوانين العباد، فإن قوانين العباد، تستمد قوتها من الكثرة، وعرف الناس، ولو كان فاسدا.

أما شريعة الله، فهي للخير المحض، وإذا كثر الشر لا تتبعه، بل تقاومه، ولا ترضى به، لأنها جاءت لنشر الخير، ولا يمكن أن ترضى، وإلا ما كانت رسالات الرسل، ولا جهاد الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين، ولذلك أمر سبحانه بمقاومة الشر مهما كثر، فقال تعالت كلماته:([1])"فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ." ويذكر الواحدي أسباب نزول الآية الكريمة فيما روي عن النبي، ﷺ، أنه قال:"إن الله عز وجل حرَّم عليكم عبادة الأوثان،وشرب الخمر، والطعن في الأنساب،ألا إن الخمر لعن شاربها، وعاصرها، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها"، فقام إليه أعرابي؛ فقال: يا رسول الله، إن كنت رجلا كانت هذه تجارتي؛ فاعتقبت من بيع الخمر مالا؛ فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي-ﷺ-:"إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب؛ فأنزل الله تعالى تصديقًا لقوله-ﷺ-([2]):"قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ".

- سلب التساوي بين (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) و(الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله).

كما صورته آية سورة التوبة:" أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٩)".

---

[1] . زهرة التفاسير- الإمام: محمد أبو زهرة(ت١٣٩٤هـ)- دار الفكر العربي- د.ت – د.ط – ٢٣٦٩/٥

[2] .أسباب النزول- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد)- ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين- دار الكتب العلمية – القاهرة ١٤٢١- ٢٠٠٠م- ص١٠٩

فقد شكلت الآية الكريمة خطابًا توبيخيًّا لقوم توهموا المساواة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله؛ فجاءت التسوية مردودة بين الفعلين، وقد ساق الإمام الطبري في تفسيره أسباب نزول الآية الكريمة؛ليؤكد دلالاتها "فيما روي عن النعمان بن بشير الأنصاري-ﷺ- أنه قال: كنت عند منبر رسول الله، ﷺ، في نفر من أصحابه؛ فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج!

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام! وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم! فزجرهم عمر بن الخطاب،ﷺ،وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، ﷺ، وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ؛ فاستفتيه فيما اختلفتم فيه. قال: ففعل فأنزل الله تبارك وتعالى([1]):" " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)"

أما فيمن نزلت الآية الكريمة فقد اختلف المفسرون في ذلك ؛ فمنهم من يرى أنها نزلت في قوم مؤمنين وقوم مشركين ، ومنهم من يرى أنها نزلت في قوم مؤمنين، ومنهم ابن عاشور؛إذ يرى أن الآية الكريمة" خطاب لقوم مؤمنين قعدوا عن الهجرة والجهاد؛ بعلة اجتزائهم بالسقاية والعمارة ومناسبتها للآيات التي قبلها: أنه لما وقع الكلام على أن المسجد الحرام لا يحق لغير المسلم أن يباشر فيه عملا من الأعمال الخاصة به؛ فكان ذلك مثار ظن بأن القيام بشعائر المسجد الحرام مساوٍ القيام بأفضل أعمال الإسلام([2])."

ويعلل الإمام السعدي لسلب التساوي بين الفعلين، بقوله:" إن الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام؛لأن الإيمان أصل

[1] . جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسيرالطبري)، (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠ هـ)، عبدالله بن عبدالمحسن التركي ومركز البحوث والدراسات بدار الهجرة، ط١، دار الهجرة، القاهرة، ٢٠٠١م، ٣٧٧/١١-٣٧٨ .

[2] . التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ)طبعة الدار التونسية للنشر،تونس ١٩٨٤م، ١٤٢/١٠-١٤٣

الدين وبه تُقبل الأعمال، وتزكوا الخصال، أما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق، ويخذل الباطل. أما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج؛ فهي وإن كانت أعمالا صالحة فهي متوقفة على الإيمان وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد([1])؛فلذلك قال تعالى:" لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"

والمتأمل للآية الكريمة يلاحظ أن الفعل (يستوي) أسند إلى ضمير الفاعلين(يستوون) على الرغم من أن سلب التساوي واقع بين فعلين وليس فاعلين و يعلل ابن عاشور ذلك بقوله:" لأن التسوية لم يُشتهر في الكلام تعليقها بالمعاني بل بالذوات([2])."

- سلب التساوي بين فعل الحسنات وفعل السيئات.

فقد انتفى التساوي بين فعلي الحسنات والسيئات في قوله تبارك وتعالى من سورة فصلت:" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) فقد أظهرت الآية الكريمة وأبانت بوضوح التفاوت بين مرتبة فعل الحسنات والطاعات؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى وبين اقتراف السيئات والمعاصي التي تودي بصاحبها إلى هلاكه وسخط الله عليه؛إذ "لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضى الله تعالى وفعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها ولا في وصفها، ولا في جزائها([3])."

ويُجمل الإمام الشوكاني المراد من الآية موضحًا الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن؛ فيقول:" والمراد: ادفع السيئة إذا جاءت من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات والاحتمالات للمكروهات، وقال مجاهد وعطاء:" بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ": يعني بالسلام إذا لقي من يعاديه، وقيل: بالمصافحة عند التلاقي" فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

[1] .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للإمام عبدالرحمن السعدي-ط١ مكتبة الصفا-القاهرة ٢٠٠٤م،ص٣١٠

[2] . التحرير والتنوير، ١٠/١٤٦.

[3] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي-ص٧٢١

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن، والمعنى: أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق، والبعيد عنك كالقريب منك([1])."

المطلب الثاني: سلب التساوي بين الفاعلين:

- سلب التساوي بين القاعدين من المؤمنين بدون عذر والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم.

كما صورته الآية الكريمة من سورة النساء: " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)"

فقد جاءت التسوية مردودة بين فريقين كشفت الآية الكريمة عن المفاضلة بينهما، وهما فريقا (المجاهدين- والقاعدين)؛ إذ" لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله، المؤثرون الدعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حزونة الأسفار والسير في الأرض، ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، إلا أهل العذر منهم بذهاب أبصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله، والمجاهدون في سبيل الله ومنهاج دينه؛ لتكون كلمة الله هي العليا([2])."وقد ورد في صحيح البخاري أسباب نزول الآية الكريمة ونسخها بآية أخرى " عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال رأيت مروان بن الحكم جالسًا في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه؛فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ،أملى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله؛ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعمى فأنزل الله تبارك

[1] . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)- تقديم: يوسف الغوش، ط٤- دار المعرفة- بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م، ص١٣١٦.

[2] . جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الطبري (أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير ت:٣١٠ هـ)، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ٥٣٦/٢

وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عزوجل([1])(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

وقد تضمنت الآية الكريمة تخصيصًا دلاليًّا بالاستثناء؛ لإظهار الفئة المستثناة من فريق المجاهدين وهم أولو الضرر، ويفصّل السعدي القول في هذه الفئة مبرزًا أهمية الحصول الآني للنية في الخروج للجهاد من عدمه، وضرورة ذلك؛ قائلا:" وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز به؛ فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر؛ فمن كان من أولي الضرر راضيًا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع ولا يحدث نفسه بذلك؛ فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازمًا على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه؛ فإنه بمنزلة من خرج للجهاد؛لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل([2])..."

- سلب التساوي والمماثلة بين العاجز عن حركة نفسه أو حركة ما حوله،والخالق،تبارك وتعالى،رب كل شيء ومليكه.

نفى الله، تبارك وتعالى، التساوي والمماثلة بين أصنام عاجزة عن حركة نفسها أو حركة ما حولها، وبين الله، عز وجل الذي بيده الأمر كله رب كل شيء ومليكه ضاربًا الأمثال التي تقوي الحجة وتوضحها لكل ذي قلب سليم، وإياه صورت الآيات الكريمة من سورة النحل:" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)" ؛ فقد صوّر" حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرُّفٍ في نفسه، ولا يملك مالا،

[1] . صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب قول الله تعالى(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).- رقم الحديث:٢٦٧٧

[2] . تيسير الكريم الرحمن - السعدي-ص١٧٤

وشبَّه شأن الله تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمرَ نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالين؛ فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة([1])(هَلْ يَسْتَوُونَ) ويعقب السعدي على الآية الكريمة موضحًا أوجه سلب المماثلة بين الفاعلين ؛بقوله:" ضرب الله تعالى مثلين له ولمن يُعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئا، والثاني حرٌّ غني قد رزقه الله منه رزقا حسنا من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان؛ فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، وغير محال استواؤهما. فإذا كان لا يستويان؛ فكيف يستوي المخلوق والعبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟! ولهذا حمد نفسه واختصَّ بالحمد بأنواعه فقال:(الْحَمْدُ لِلَّهِ) فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوّى المشركون آلهتهم بالله؟ قال:(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم([2])."

- **سلب التساوي بين الكافر بالله الذي يعبد آلهة متعددة،والمؤمن بالله وحده لا شريك له.**

وهو ما أخبرت به الآية الكريمة من سورة الزمر:" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)" إذ يضرب المولى عزوجل مثلا ينبيء عن التفاوت بين الكافر بالله الذي يعبد آلهة متعددة ويطيع جماعة من الشياطين،مثله كمثل الذي يخدم جماعة مختلفين متشاكسين متنازعين متباينة أخلاقهم ونياتهم، وكل الشركاء والمتشاكسين إلى التعب والنصب وغياب الراحة والطمأنينة والتفاوت بينه وبين المؤمن بالله وحده لا شريك له لا ينازعه غيره إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه؛فيصير في راحة تامة وطمأنينة كاملة فإن بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوه باستوائهما؛ لأن أحدهما في أعلى

[1] .التحرير والتنوير-ابن عاشور- ١٤/٢٢٣-٢٢٤.

[2] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٤٢٣

المنازل، والآخر في أدناها.([١])"؛ فهما لا يستويان في تبيين الحق من الباطل ولا يعلمون أنهم متفاوتون وليسوا متساويين، "ولو علموا لاختاروا لأنفسهم الحسنى منهما وما أصروا على الإشراك([٢])."

- **سلب التساوي بين البحر العذب الفرات شديد العذوبة والبحر المالح شديد الملوحة.**

يخبرنا الله ،تبارك وتعالى، بقدرته التي تعجز أمام استيعابها البشرية وبوحدانيته،سبحانه وتعالى، ودقيق صنعه الذي تجلى في تفاوت طبيعة البحرين، العذب الفرات شديد العزوبة، والمالح شديد الملوحة، على الرغم من أوجه الشبه الكثيرة بينهما ومع ذلك جعل فيهما مصالح للناس ومنافع كُثُر ، كما صورته الآية الكريمة من سورة فاطر: "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)"؛ فقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى: "أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم وأنه لم يسوّ بينهما؛ لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتا سائغًا شرابها؛ لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون وأن يكون البحر ملحًا أُجاجًا؛ لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات؛ ولأنه ساكن لا يجري فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ(٣). "غير أن البحرين يشتركان في أن كلا منهما مفيد للبشرية بما يصاد منها من الحيوانات التي تؤكل والحلية التي تلبس، ولهذا قال(وَمِنْ كُلٍّ) من البحر المالح والعذب" تأكلون لحمًا طريًّا " وهو السمك المتيسر صيده في البحر، وتستخرجون منه اللؤلؤ والمرجان وغيرهما مما يوجد في البحر([٤])."

ومما سخّره المولى تبارك وتعالى لمنفعة البشرية من البحرين كذلك أنها "تحمل السفن والمراكب؛ فتراها تمخر البحر وتشقه؛ فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل؛

---

[١] .فتح القدير- الشوكاني-ص١٢٨٢.

[٢] .التحرير والتنوير – ابن عاشور- ٤٠٣/٢٣

[٣] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٦٥٩

[٤] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٦٥٩

فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم؛ فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال تعالى:" لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ".

- **سلب التساوي بين القائمين بفضائل الأعمال وثوابها.**

كشفت عنه الآية الكريمة من سورة الحديد: "وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١٠)"؛ فقد سلبت التساوي بين من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. وقد اختلف المفسرون فيما تعنيه كلمة (الفتح) ؛فمنهم من ذهب إلى أن المقصود به فتح مكة ومنهم من ذهب إلى أن المقصود به (صلح الحديبية) وقد أورد الإمام الطبري ذلك في تفسيره مرجحًا أوْلى الأقوال عنده ؛ فيقول:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحديبية...،وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك وقاتل...فهؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، وقاتلوا المشركين، أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا، وكل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله وقتالهم أعداءه. والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله، وقتال أعدائه وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون، خبير، لا يخفى عليه شيء وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة([1])."

ويعلل الإمام السعدي لأفضلية السابقين من صحابة رسول الله،ﷺ، مؤكدا أن الفريقين المنفقين منهم قبل الفتح والمنفقين بعده قد وعدهم الله جميعا الجنة؛ فيقول: "فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدح في المفضول،

[1] . جامع البيان – الطبري – ٢٢٢/٧

احترز تعالى من هذا بقوله:" وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى" أي: الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم، ﷺ، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، " وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله([1])."

- **سلب التساوي بين المؤمنين القانتين وغيرهم.**

فقد أظهرت آيتا سورة آل عمران الكريمة: "لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)" أظهرت التفاوت بين حالي فريق المؤمنين الذي بيَّن،سبحانه، أفعالهم وثوابهم عليها، والفاسقين الذين أوضح،عز وجل، أفعالهم وعقوباتهم، هؤلاء الذين سبق ذكرهما في قوله تعالى:" وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)" ثم تتجه الآية نحو تخصيص الفئة القانتة المؤمنة بالثناء؛ إنصافًا لتلك الأمة المستقيمة على دين الله القانتة المؤمنة القائمة بما ألزمها الله به من المأمورات ومن ذلك قيامها بالصلاة (يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) مبينًا المولى ،تبارك وتعالى، الأسباب التي جعلتهم يحظون بهذه الفضيلة وبهذا الثواب؛ فمن شيمهم إيثار تلاوة كتاب الله عزوجل، والركوع والسجود والخشوع والخضوع وصلاة الليل.

- **سلب التساوي بين المؤمن والفاسق.**

كشفت عنه آية سورة السجدة الكريمة("أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(١٨)"؛ إذ ينبه المولى تبارك وتعالى العقول على ما تقرر فيها من سلب التساوي بين المتباينين المؤمن المطيع لله المتقيه في أوامره ونواهيه مَن عمُر قلبه بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر المصدق وعد الله ووعيده وبين الفاسق المكذب لله وما أنزله على رسله الذي يعصيه في أوامره ونواهيه، وتعطل قلبه عن الإيمان وخرِب من الوازع الديني؛"

[1] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي-ص٨٠١

فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله. أوَيستوي هذان الشخصان، لا يستوون عقلا وشرعًا...، ولا يستوي ثوابهما في الآخرة([1])".

- **سلب التساوي بين المطيع ربه وبين المتبع هواه.**

وقد أخبرت به الآية الكريمة من سورة الزمر" أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ(٩)" فقد صورت التفاوت بين العالِم بطاعة ربه ويتبعها ويحرص عليها، وبين المعرض عنها المتبع هواه،" وفي هذا تمام المقابلة بين حال المؤمنين الجارية على وفق حال نبيهم،ﷺ، وحال أهل الشرك الذين لا يدعون الله إلا في نادر الأوقات، وهي أوقات الاضطرار ثم يشركون به بعد ذلك؛ فلا اهتمام لهم إلا بعاجل الدنيا لا يحذرون الآخرة ولا يرجون ثوابها.([2]) فالقانت هو المطيع لله في السراء والضراء بأفضل العبادات التي نصت عليها الآية الكريمة وهي الصلاة آناء الليل قائمًا ساجدًا مكثرًا من هذه العبادات المفضلة مجتهدًا فيها سرًّا وعلانية؛ فهذه أحوال القانت التي تصف أعماله الظاهرة، وخائفا عذاب الآخرة راجيًا رحمة ربه ومغفرته وعفوه،سبحانه وتعالى، عما قد سلف من الذنوب وهذه أحواله التي تصف عمل قلبه "وهو أنه بين الخوف من سيئاته وفلتاته وبين الرجاء لرحمة ربه أن يثيبه على حسناته.([3])"؛ فليس هذا هو ومن يعصي الله ولا يلجأ إليه إلا في ضراء أصابته سواء، وهذا المعنى الجليل لا يدركه ولا يتدبره إلا:"أهل العقول الزكية الذكية. فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى؛ فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته؛ لأنهم لهم عقولا ترشدهم النظر في العواقب؛ بخلاف من لا لب له، ولا عقل؛فإنه يتخذ إلهه هواه([4])."

---

[1] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي-ص٦٢٩

[2] . التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٣٤٦/٢٤

[3] . التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٣٤٧/٢٤

[4] .تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٦٩٣

- سلب التساوي بين أعمى البصيرة الذي لا يتدبر الأمور وعاند وكذب الرسل والبصير صاحب العقل المماز للأشياء الذي امتثل لأوامره وصدَّق رسله.

فقد استُهلت الآية الكريمة من سورة الأنعام: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ(٥٠)" بأمر إلهي للنبي، ﷺ، أن يخبر هؤلاء المتقولين عليه افتراءً: إنما تدعونا لنتخذك إلهًا مع الله. أنه لا يملك خزائن رحمة الله ورزقه وقدرته وليس عنده علم بمستقبل الدهر الذي لا يعلمه إلا الله؛ فهو وحده عالم الغيب والشهادة مدبر الأمر ومليكه، ولست بمدعٍ أنني ملك؛ لتكلفوني بالأفعال الخارقة للعادة؛ فأكون نافذ التصرف،إذ أن غاية أمري ومنتهاه أني متبع ما يوحى إلي" فأعمل به في نفسي وأدعو الخلق كلهم إلى ذلك فإذا عرفت منزلتي؛ فلأي شيء يبحث الباحث معي أو يطلب مني أمرًا لست أدعيه، وهل يلزم الإنسان بغير ما هو بصدده؟ ولأي شيء إذا دعوتكم بما أوحي إلى أن تلزموني أني أدعي لنفسي غير مرتبتي وهل هذا إلا ظلم منكم وعناد وتمرد؟ قل لهم في بيان الفرق بين مَن قبِل دعوتي، وانقاد لما أوحي إلي ، وبين من لم يكن كذلك (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فتنزلون الأشياء منازلها وتختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثار؟([1])."

-سلب التساوي بين الأعمى والبصير،والأصم والسميع ضاربًامثلابالمؤمنين والكافرين

يقول تعالى في سورة هود:"مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)" للإخبار بالتفاوت بين المؤمنين والكافرين ضاربًا مثلًا لفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وفريق الكافرين بالأعمى والأصم؛ فالفريق الذي هذه صفاته العمى والصمم"وفيما بينهما من التفاوت الظاهر الذي لا يخفى على من له تذكُرُ، وعنده تفكُّر وتأمُّل، والهمزة لإنكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين([2])." وفي

[1] .تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٢٣٥

[2] . فتح القدير- الشوكاني - ص ٦٥٣.

السياق ذاته تكرر سلب التساوي في آية سورة غافر: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)".

ففيها جاءت التسوية مردودة بين الكافر الذي لا يتدبر قدرة الله بعقله ولا يقر بوحدانيته ويستكبر على عبادته مثله كمثل الأعمى الذي لا يبصر شيئا ولا يدرك منازل الخير والشر ولا يتعقل مراتب الأمور ولا يفقه مجرياتها.كما أن مثل المؤمن الذي يعمل صالحًا يرضاه ربه ويتدبر قدرة الله بعقله ويؤمن بوحدانيته وما أرسل من رسله وما أنزل من كتب كمثل البصير ذي العقل المستنير الذي يراقب الله في أعماله وتصرفاته ولا يوجهها إلا إلى الخير وفي الخير. قليلًا ما تتذكرون، يقول الطبري:" قليلًا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون، لو تذكرتم آياته واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون.([1]).."

ويُضرب المثل نفسه في سياق آخر تصوره الآيات الكريمة من سورة فاطر: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ(٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(٢٢)" ففيها ينفي المولى، تبارك وتعالى، التساوي بين من أبصر طريق الرشد والصواب ورضي بالله ربًّا وبمحمد ،ﷺ، نبيا، ورسولا، وصدَّق ذلك بالعمل الصالح والقول السديد، وبين من غرق في ظلمات الكفر والعصيان "قال قتادة هذه كلمات أمثال،أي: كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن إن الله يسمع من يشاء أن يسمعه من أوليائه الذي خلقهم لجنته ووفقهم لطاعته وما أنت بمسمع من في القبور يعني الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم؛أي :كما لا تسمع من مات كذلك لا تُسْمِع من مات قلبه([2])". ومنه كذلك وفي سياق سلب التساوي بين الأعمى والبصير ، يقول تبارك وتعالى: "قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا

[1] . تفسير الطبري – ٤٣٨/٦

[2] .فتح القدير ، ص١٢٠٩–١٢١٠.

كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(١٦)؛ إذ يأمر الله، عز وجل، نبيه مُحَمَّد ،ﷺ، أن يقول لهؤلاء المشركين الذين يتخذون أوثانًا وأندادًا عاجزين لا يملكون لأنفسهم نفعًا أو ضرًّا وهم لا يملكونها لأنفسهم" وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟....، فما تستوي عبادة الله وحده وعبادة المشركين به كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور. فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله فأزال عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية؛ فقل لهم:(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)فإنه من المحال أن يخلق شيءٌ من الأشياء نفسَه، ومن المحال أيضًا أن يوجد من دون خالق؛فتعين أن لها خالقًا لا شريك له في خلقه؛ لأنه الواحد القهار...؛ فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده؛ فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة([1])".

خلاصة القول:إن التصنيف الدلالي السابق يؤكد أن سلب التساوي بين الفاعلِينَ القائمينَ بالأفعال قد اتخذ مسارات دلالية متعددة ومتنوعة وأكثر تفصيلا من سلب التساوي بين الفعلين؛ الأمر الذي يؤكد عناية الخطاب القرآني بالنفوس البشرية التي استخلفها الله في الأرض وأودع فيها عقلا يمايز ويختار ويدرك حقيقة الأشياء؛ فهو خطاب من لدن حكيم عليم بهذه النفوس وكوامنها وبما يحدث بين خلجاتها من صفات الخير والشر وسبل هدايتها إلى الصراط المستقيم وإيقاظها من غفلتها أو من سباتها العميق، وحثها على عبادة الله وحده لا شريك له، وترغيبها في العمل الصالح؛ لتكون نفسًا سوية مؤمنة موحدة مطيعة وقانتة وقائمة بفضائل الأعمال بصيرة بطبائع الأمور ممايزة بين ما هو ضار وما هو نافع تلك النفس يبشرها الحق ،تبارك وتعالى، برضاه ونيل جزائه الأوفى من الثواب. وعلى الجانب الآخر ينذر الخطاب القرآني في آيات سلب التساوي أولئك القائمين بالأعمال الطالحة الذين يدعون مع الله إلها آخر ولا يدركون بعقولهم التي منحها

[1] . تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٣٩٤

الله إياهم ،وجعلها تميزهم عن الدواب، حقائق الأمور ولا يستطيعون المايزة بين الحق والباطل؛ فعقولهم المريضة تهوى الباطل وتميل إليه وتتبع هواها؛ فهي نفوس عاصية كافرة قائمة برذائل الأعمال وهنا ضرب لهم الأمثال؛ فمثلهم كمثل الأعمى والأصم الذي لا يقدر على رؤية شيء أو سماعه؛ فهو في ضلال وتخبط وسوء مسعى كالدواب التي لا تعقل بل هم أضل سبيلا؛ فهذا ترهيب لهم وتحذير من عاقبة أمرهم إن لم يعودوا إلى رشدهم وصوابهم باتباع أوامر الله وتجنب نواهيه والتصديق برسله وما أرسلوا به

وهنا نفى الخطاب القرآني التساوي بين هؤلاء الفاعلين؛ بغية إظهار فضائل الفريق المهتدي والترغيب في الاقتداء بهم أولئك الذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يتعدون حدوده المطيعون أوامره والمجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم، المجتنبون نواهيه والفواحش ما ظهر منها وما بطن أولئك أصحاب الجنة كما وصفهم الخطاب القرآني.

والترهيب من اتباع الفريق الآخر هؤلاء المضلين الضالين الكافرين بالله الذين يدعون مع الله إلها آخر العصاة لأوامره الفاسقين الذين يأتون ما حرّم الله ويكذبون رسله أولئك أصحاب النار كما وصفهم القرآن الكريم.

فقد اتخذ سلب التساوي بين الفريقين –ما مرَّ– مسارات متعددة؛ فنفى التساوي بين مطيعي ربهم ومتبعي أهواءهم، وبين الكافرين بالله الذين يعبدون آلهة متعددة والمؤمنين بالله وحده لا شريك له وبين القائمين بفضائل الأعمال وبين من لديهم عمه في بصائرهم الذين لا يتدبرون الأمور وعاندوا وكذبوا الرسل وبين البصراء ذوي العقول المايزة لحقائق الأمور.

أما سلب التساوي بين الفعلين؛ فقد اتخذ مسارين دلاليين عامين مجملين لكل حركات الفاعلين وما يقومون به؛ فقد نفى الخطاب القرآني التساوي بين فعل الحسنات وفعل السيئات وبين الخبيث والطيب؛ فجاء المجالان أكثر إجمالا من المجال الدلالي السابق(سلب التساوي بين الفاعلين) الذي جاء مفصلا مسارات سلب التساوي؛ فالعلاقة بين المجالين علاقة العام بالخاص وعلاقة الإجمال بالتفصيل.

المبحث الثاني

القوى الإنجازية المستلزمة في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم

استلزمت قوى الإنجاز القولي في آيات سلب التساوي مقاصد كلامية متنوعة أنتجها السياقان المقامي والمقالي على حد سواء. ويمكن تصنيفها إلى ثلاث قوى قولية كبرى(التوجيهيات- الإخباريات- الالتزاميات) ووفقا للآيات الكريمة كانت تلك القوى القولية الأكثر ورودا فضلا عما ثوى خلفها من قوى إنجازية مستلزمة متنوعة ومتعددة وقد شكلت مطلبين :

- **المطلب الأول: القوى الإنجازية المستلزمة للتوجيهيات.**

فالمتأمل للقوى الإنجازية (التوجيهيات) ،مثلا،وما تفرع منها من قوى إنجازية قولية أصغر منها، من مثل:(الأمر- الاستفهام) يجدها قد احتملت قوى إنجازية استلزمها السياق تمثل مقاصد كلامية قد تختلف عن دلالة منطوقها القولي، كما هو مبين من الشكل الآتي (شكل رقم (١):

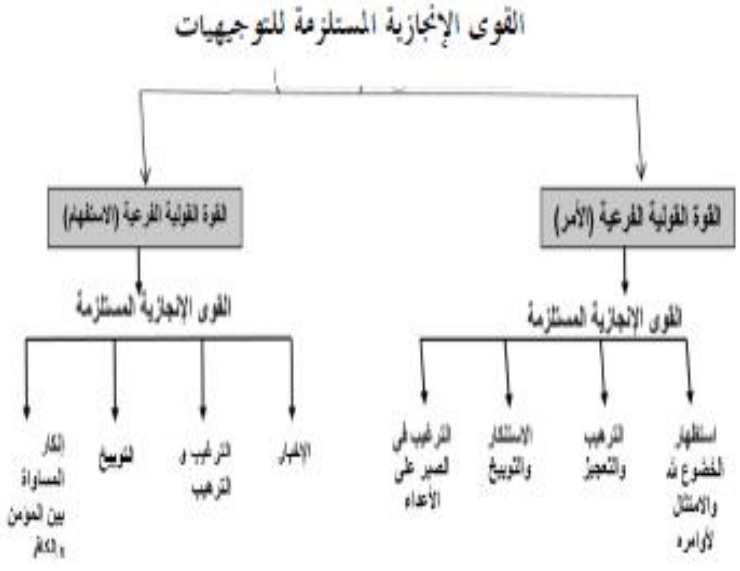

وجاء عرض بعض قوى الإنجاز التي استلزمتها القوى القولية(التوجيهيات)على النحو الآتي:

- **استظهار الخضوع لله والامتثال لأوامره:**

الذي استلزمه الإنجاز القولي لفعل الأمر(قل) الذي استهلت به آية سورة الأنعام:"قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ(٥٠)".فهو أمر إلهي موجه إلى النبي،ﷺ،جاء متلوًّا بنفي لتلك الأقوال المفتراة التي لم تقترن بدعوى رسالته، ﷺ، ولا تصل إليها من أي طريق؛ فكونه،ﷺ، ملكًا تعلو قدراته على قدرات البشر أو يمتلك خزائن الله، أو يعلم الغيب أو يستطيع التنبوء بما يستقبل من خير أو شر، كل أولئك أمور لم يتصف بها ،ﷺ، ولم يدعيها لنفسه؛إذ إن غاية رسالته ومنتهاها تنحصر في كونه، ﷺ، بشرا مرسلا" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ" الكهف:١١٠ يتبع ما أمره الله به ويمتثل له؛ فهذا الأمر الإلهي يستوجب من النبي،صلى الله عليه وسلم، الخضوع لله والامتثال لأوامره ووجوب الاهتمام والعناية بتبليغ ما يلي الأمر الإلهي من قول إنجازي وتنفيذه، وهو نفي هذه الافتراءات الكاذبة المضلة.

كما جاء الأمر الإلهي الثاني، في الآية نفسها، متلوًّا باستفهام غير حقيقي ؛لسلب التساوي بين هؤلاء الحكماء البصراء بأمور دينهم الذين يتبعون الرسول ويؤمنون برسالته ويصدقون دعواه وبين هؤلاء المنكرين الضلّال فاسدي الرؤية عقيمي الفكر؛ فجاءت القوة الإنجازية القولية(هل) في قوله تعالى:" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" مستلزمة غرضًا إنجازيًّا استدعاه مقام(التبكيت والترهيب) لهؤلاء الضالين المفترين السفهاء فاقدي الفكر والبصيرة ، كما استلزم ترهيبًا لهم من عاقبة ما ادعوه وما افتروه على الله كذبا وتكذيبهم بأن القدرة المطلقة وعلم الغيب ليستا إلا لله وحده لا شريك له يؤتي الملك لمن يشاء وينزعه ممن يشاء بيده الأمر كله وهو على كل شيء قدير.

- **الترهيب والتعجيز:**

إن تكرار الأمر الإلهي للنبي، ﷺ، بالقول(قل) لهؤلاء المشركين إن الله، تبارك وتعالى، رب كل شيء ومليكه وإنه،سبحانه وتعالى،متفردٌ بالألوهية لا يشركه فيها غيره ؛قد كشفت

عنه آيات سورة(الرعد): "قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(١٦)" وأكدت أن هؤلاء المشركين مع إقرارهم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه، كما ذكر القرآن الكريم في غير موضع منه، كما في قوله تبارك وتعالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ"[العنكبوت٦١] وقوله تعالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴿٢٦﴾"لقمان٢٥-٢٦، وقوله تعالى:"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ" الزمر٣٨،وقوله تعالى:"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" الزخرف٩-١٠، وقوله تعالى:"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴿٨٧﴾ الزخرف٨٧، وغير ذلك من مواضع كثيرة ذكر فيها القرآن الكريم إقرارهم ؛ ليقيم عليهم الحجة الدامغة؛ فهم مع إقرارهم يشركون بالله ما لا يملك من أمره أو أمر غيره شيئا ، كما استلزم فعل الإنجاز القولي الأمر (قل) غرض (التحقيق)؛ فهو أمر عظيم وجليل أمر الله نبيه أن يخبرهم عما سألوا عنه، ولقنه، عز وجل، الإجابة عن سؤالهم(قل الله) التي يعلمونها علم اليقين؛ فهم مقرون بربوبيته، تبارك وتعالى، لكل شيء غير أنهم منكرون تفرده، سبحانه وتعالى، بالألوهية؛ فيشركون به ويتخذون من دونه أولياءً عاجزين عن نفع أنفسهم أو دفع الضر عنهم ومن ثمَّ لا يملكون لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، الأمر الذي أكده القرآن الكريم في غير موضع منه، كما في قوله تعالى:" وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ"]يونس١٨[وقوله تعالى:"وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا

مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ"]النحل٧٣-٧٤[، وقوله تعالى: "وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا " الفرقان ٥٤-٥٥؛ فتأكيد معنى العبادة من دون الله في أكثر من موضع يعني عظم هذا الذنب وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة كما يعدُّ إقرارا بعجز مَن يتخذونهم أولياء من دون الله.

- **الاستنكار والتوبيخ:**

ويأتي الأمر بالقول المتلو باستفهام غير حقيقي؛ ليستلزم ،مقاميًّا، غرضًا إنجازيًّا يحمل دلالة الاستنكار والتوبيخ، وذلك في الآية الكريمة نفسها" قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ" لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله ما يعجز عن خلق جناح بعوضة؛ فلا قدرة لهؤلاء الذين يدعونهم من دون الله أمام كمال قدرة رب العالمين.

ويستمر الخطاب القرآني في إفحام هؤلاء السفهاء وتحقيق إنكار استحقاق آلهتهم للعبادة وإقرار التوحيد؛ ضاربًا لهم الأمثال؛ فكما لا يستوي الأعمى والبصير ولا تستوي الظلمات والنور؛ فكذلك لا يستوي المؤمن الموحد الذي يعبد الله وحده لا شريك له ويستعين به وحده لا شريك له، ويلجأ إليه في السراء والضراء؛ لا يستوي وهذا المشرك الذي يخلط هذا بذاك ويستعين بغير الله في قضاء حوائجه ويلجأ لمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا. وقد جعل ابن عاشور نفي استوائهما في ذلك من قبيل إظهار مزية المؤمنين بالله الموحدين به لا شريك له ، على أهل الشرك والضلال؛ فيقول:"وذلك أن قوله:" قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ " تضمن أن الرسول،ﷺ، دعا إلى إفراد الله بالربوبية وأن المخاطبين أثبتوا الربوبية للأصنام؛ فكان حالهم وحاله كحال الأعمى والبصير وحال الظلمات والنور.([1])"

- **الترغيب في الصبر على الأعداء**

لقد استلزمت القوة الإنجازية القولية للأمر الإلهي الذي جاء عقيبًا لسلب التساوي بين الحسنة والسيئة ، في قوله تعالى: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

[1] . التحرير والتنوير- ابن عاشور- ١١٤/١٤

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (٣٤) ترغيبًا للمؤمن في مقابلة إيذاء الأعداء بالإحسان إليهم لما فيها من ثواب عظيم ينتظر هذا المؤمن الصابر المصفح عن أعدائه الذي يعفو عند المقدرة، كما أنه سيحظى بتحول هذا العدو المشاقق وليًّا حميمًا مصافيًا؛ فهذه الحسنة يجني المؤمن ثمارها في الدنيا والآخرة، وتلك سجية المؤمن الخيّر الذي حظي بالتوفيق إلى الخير من الله، تبارك وتعالى. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الغرض المستلزم قد حمل في طياته الدلالية التي لا تغيض ولاتنضب، بعدًا اجتماعيًّا إصلاحيًّا يكون بصفح المسلم عن أخيه بالتماس الأعذار ومقابلة إيذائه بالإحسان إليه، والعفو عند المقدرة؛ فيصير هذا العدو صديقًا قريبًا ومن ثم تسود المحبة والإخاء.

كذلك كشفت قوى الإنجاز القولي للاستفهام غير الحقيقي الذي لا يحتاج إلى جواب في آيات سلب التساوي؛ عن قوى إنجازية مستلزمة كما جاء في الآية الكريمة من سورة الزمر:" أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)" فقد استلزم الاستفهام غير الحقيقي:

- **إخبارًا**: بالتفاوت البيّن بين القانت والعاصي، أو بين العالم والجاهل؛ العالم بطاعة الله وفضلها وثوابها في الدنيا والآخرة الراجي رحمته وجنته والنجاة من سخطه وعذابه.

- **ترغيبًا وترهيبًا**: استلزمهما الاستفهام في قوله تعالى:" هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" ترغيبا في شرف العلم والعمل به؛ فيعمل هؤلاء بمقتضى علمهم، ويقنتون الليل سجَّدًا وركعًا يطمعون في رحمة ربهم وعفوه ورضوانه، ويحذرون الآخرة، وترهيبًا من الجهل والضلال ومآل أصحابهما وتوبيخهم على الرضى بجهلهم وضلالهم؛ فيعملون بمقتضاهما؛ فتكون عاقبتهم الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

- **التوبيخ**: طالما جاء الاستفهام في القرآن الكريم من الله،تبارك وتعالى، مغايرًا لأصل وضعه؛ فلا يحتاج المولى، عز وجل، من وراء سوقه إلى جواب وإنما أراد به غرضًا آخر استلزمته قوته القولية؛ ففي آية سورة التوبة:"أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)" ثوى خلف المنطوق القولي للاستفهام توبيخ لهؤلاء الذين توهموا المساواة بين (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) وبين (الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله)؛ فهما لاشك أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .

ويعلل لذلك السعدي في تفسيره؛ قائلا:"لأن الإيمان أصل الدين وبه تُقبل الأعمال، وتزكو الخصال،وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل، وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج؛ فهي وإن كانت أعمالًا صالحة؛ فهي متوقفة على الإيمان، والجهاد؛فلذلك قال تعالى:" لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"([1])".

- **إنكار المساواة بين المؤمن والكافر:**

اتخذت القوى الإنجازية القولية في آيات سلب التساوي، الاستفهام غير الحقيقي، الذي اتخذ الهيئات التعبيرية ذات الدلالة على الغائب سواء كان مفردا أو مثنى أو جمعًا (هل+(يستوي)- (تستوي)- (يستويان)- (يستوون))اتخذته غطاءً لقوى إنجازية مستلزمة كشف عنها السياق المقامي لآية سورة الرعد:" قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)". وهي إنكار التساوي بين الفريقين في القدرة على إدراك ما هو ظاهر وواضح وتأكد هذا الإنكار بالتشبيه الذي يقرب الصورة إلى أذهان المتلقين ويوضحها ويؤكد المراد منها ؛فقد " اختير التشبيه في المتقابلات العمى والبصر والظلمة والنور؛ لتمام المناسبة؛ لأن حال المشركين أصحاب العمى كحال الظلمة في انعدام إدراك المبصرات، وحال المؤمنين كحال البصر في العلم وكحال النور في الإفاضة والإرشاد([2])."

[1] . تفسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٣١٠

[2] .التحرير والتنوير- ابن عاشور- ١١٥/١٤

والحال هذه في آية سورة النحل" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)" ؛ فقد استلزم الاستفهام غير الحقيقي إنكارًا للتساوي بين هذا الصنم الأبكم الذي هو كَل على صاحبه ولا يأتي بخير أينما وجهه صاحبه، وبين من ينطق بالحق ويأمر به ويدعو إليه؛ لأنه رب كل شيءٍ ومليكه خالق السموات والأرض الواحد القهار الذي يدعو عباده إلى طاعته وتوحيده كما أن إنكار التساوي ونفي مماثلتهما يستلزمان،إنجازيًّا، توبيخًا لهؤلاء الذين لا يمايزون بين هذا الأبكم وبين من إذا تولى أمر الناس أحسن ولايتهم وأقام العدل بينهم وكان مستقيم النفس مخلص القلب ذو طريق حسن يوجهه إخلاصه إلى السلوك المستقيم، وهو ما كشفت عنه آية سورة الزمر كذلك: " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)". فقد أومأ الاستفهام غير الحقيقي(هل يستوون) إلى إنكار التساوي بين هؤلاء المشركين بالله وبين الموحدين به ؛فقد ساقت الآية الكريمة تشبيهًا لحاليهما بحال من" يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم وبين الذي يخدم واحدًا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه ، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه؛ فأي هذين أحسن حالا وأروح جسمًا وأقل تعبًا؟([1])". وفي سياق إنكار التساوي الذي استلزمه الاستفهام غير الحقيقي(هل يستوون) الذي كشفت عنه آية سورة النحل: " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) بمؤازرة المثل الذي ضربه الله،تعالت كلماته، للكافر الذي رزقه الله مالًا؛ فهو عاجز عن التصرف لم يقدم به خيرًا ولم يعمل فيه بطاعة الله، والمؤمن الذي أعطاه الله مالًا فعمل فيه بطاعة الله، عز وجل؛ فأنفق منه في العلن والخفاء ما يشاء، وفي عموم الأحوال تعدى خيره إلى غيره؛ فشكر الله،تعالى، وعرف حقه عليه؛ فكان جزاؤه أن أثابه الله على ما رزقه فهل يقول عاقل بالتساوي بين الاثنين؛ فكذلك الله الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده كما استلزم هذا الإنكار

[1] . جامع البيان- الطبري- ٢٨٥/٢١

توبيخًا؛ فكيف تسوون أنتم بينهما، بين الله المالك المتصرف الخالق و أصنامكم العاجزة عن التصرف؛ إذ لا تملك نفسها ولا تملك من الدنيا شيئا كيف تسوون أيها المشركون بين الحر المتصرف في كل شيء الذي بيده الأمر كله وهو على كل شيء قدير وبين هذه الأوثان التي لا تنفع ولا تشفع ولا تملك من أمرها شيئا.

كما جاء في سياق منطوق الاستفهام القولي في قوله تعالى في سورة السجدة: "أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨)" الذي استلزم إنكارًا للتساوي بين المؤمن المطيع ربه فيما أمر ونهى ، العامر قلبه بالإيمان المصدق وعد الله ووعيده، وبين الكافر المكذب لله العاصي لأوامره،تبارك وتعالى، والآتي نواهيه الذي عطل قلبه عن الإيمان وخرِب من الوازع الديني؛ فهذا الإنكار للتساوي بينهما في الشرف والمثوبة كما قرر ابن عاشور:" بتنزيل السامع منزلة المتعجب من البوْن بين جزاء الفريقين في ذلك اليوم؛ فكان الإنكار موجهًا إلى ذلك التعجب في معنى الاستئناف البياني.([1])."

- **المطلب الثاني: القوى الإنجازية المستلزمة للإخباريات والوعديات.**

وجاء توزيعها كما في الشكل الآتي:

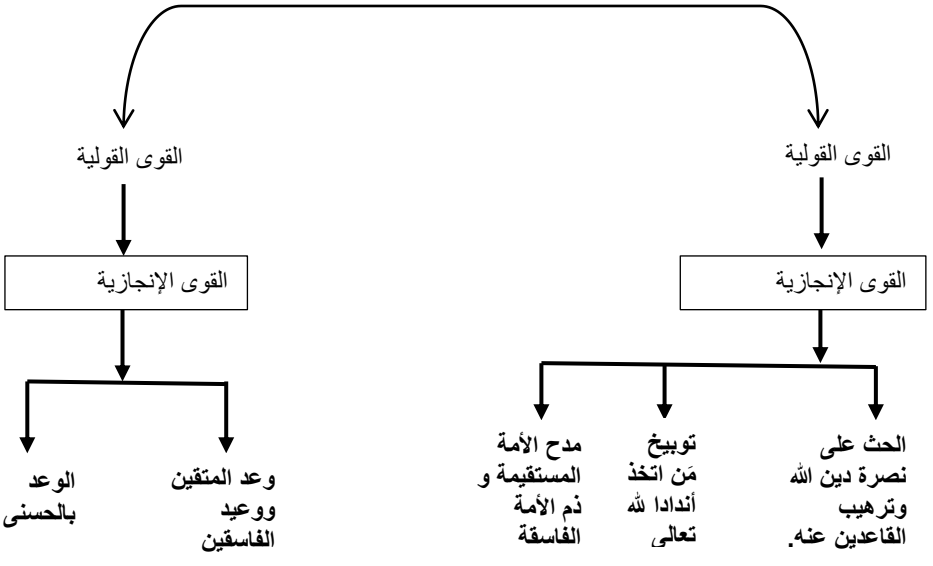

[1] .التحرير والتنوير–ابن عاشور– ٢١/٣١٠

تأسيسًا على ما سبق وفي ضوء العرض السابق الذي كشف عن تحمل القوى الإنجازية الكبرى(التوجيهات)لأكثر من قوة إنجازية فرعية استلزمها السياق المقامي، كما لوحظ ذلك في القوى الإنجازية القولية بفرعيها(الأمر والاستفهام) وما ثوى خلف لفظيهما من قوى إنجازية مستلزمة. نلحظ أن آية سورة النساء"" لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)" قد كشفت عن دور القوتين القوليتين الكبريين (الإخباريات والوعديات) في إنتاج قوى إنجازية مستلزمة كامنة خلف منطوقيهما، ومنها:

- **الحث على نصرة دين الله ، وترهيب القاعدين عنه.**

فالإخبار بالتفاضل بين فريقي المجاهدين والقاعدين وبيان تفاوتهم في الأجر والثواب والفضيلة ،تنشيط للمجاهدين وترغيب في فضل الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله وتحري الأفضل في ذلك؛ فقد ثوى خلف منطوق هذا الإخبار حثٌ على نصرة دين الله وترهيب من القعود عنه، وتشنيع بحال القاعدين باستثناء أولي الضرر الذين يودون لو كانوا معافيين وشاركوا إخوانهم الجهاد في سبيل الله؛فهؤلاء مساوون للمجاهدين في الأجر.

- **توبيخ مَن اتخذ أندادا لله تعالى.**

الذي أخبرت به الآيتان الكريمتان من سورة النحل، قال تعالى:" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)" وهذان مثلان ضربهما الله عز وجل؛ لإيضاح البون الشاسع وإظهاره بين الملك الخالق القادر المقتدر الغني الرزاق، وبين تلك الآلهة المملوكة العاجزة المخلوقة الضعيفة الفقيرة التي لا تملك لنفسها ولا لمن حولها شيئا ؛ فقد استلزم سياق مضرب المثل القرآني في الآيات الكريمة توبيخًا لهؤلاء المشركين الذين يعلمون عجز آلهتهم

التي يتخذونها من دون الله وضعفها وقلة حيلتها ومع ذلك يصرون على إنكار وحدانية الله وقدرته الكاملة على كل شيء كما يستلزم المثلان ، في الوقت ذاته، نهيا عن ذلك الشرك بالله الذي يفضي بصاحبه إلى مقت الله وسخطه عليه وهلاكه وسوء عاقبته.

- **مدح الأمة المستقيمة وذم الأمة الفاسقة:**

فقد أظهرت آية سورة(آل عمران): "لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) التفاوت بين الأمة القائمة، وغيرها كما كشفت عن أوجه تفضيل هؤلاء على غيرهم، واستلزمت قوى كامنة خلف هذا الإخبار تشير إلى الثناء على هذا الفريق الذي حددت الآيات جهة تمايزهم عن غيرهم ،وأبانت فضيلتهم على الأمم الكافرة الفاسقة، ووجه تلك الأفضلية أنهم أمة مستقيمة عادلة مهتدية يؤثرون الصلاة بالليل والناس نيام ويتلون كتاب الله ؛ فحظوا بهذه الفضيلة والمنزلة العالية والثواب الذي وعدهم الله به، وكان وعده حقا، وفي ذلك ترغيب في السير على منهجهم واقتفاء أثرهم والحيد عن نهج الأمة الكافرة العاصية الفاسقة.

- **الوعد بالحسنى:**

وقد أطلق عليها أصحاب المنهج التداولي(الالتزاميات)لاحتمالية تحققها في المستقبل؛ غير أن الأمر مختلف في السياق القرآني فما دلَّ فيه لفظه على المستقبل هو بمنزلة متحقق الوقوع؛ ففي الآية الكريمة يعد الله ،تبارك وتعالى، المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله الأجر العظيم، كما فضلهم، سبحانه وتعالى، درجة على القاعدين من غير أولي الضرر، وهو ما دلت عليه الضمائم اللغوية (درجة- وعد الله الحسنى- فضَّل – أجرًا عظيمًا) وفي الوقت ذاته يستلزم هذا الوعد الإلهي لهؤلاء المجاهدين بأموالهم وأنفسهم وعيدا لهؤلاء القاعدين؛ ليأنفوا عن القعود وينصرفوا عنه ويلحقوا بالمجاهدين بأموالهم وأنفسهم؛ ويعلل الألوسي للتفاوت في درجات المنفقين وعلة تقديم الإنفاق على القتال؛ بقوله:"وإنما كان أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح؛ لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا

عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال لقلة المسلمين وكثرة أعدائهم وعدم ما ترغب فيه النفوس طبعًا من كثرة الغنائم؛ فكان ذلك أنفع وأشدّ على النفس وفاعله أقوى يقينًا بما عند الله تعالى وأعظم رغبةً فيه، ولا كذلك الذين أنفقوا بعد الفتح([1])."

ويستمر سياق آيات سلب التساوي مخبرًا بالتفاوت بين عاقبة الفريقين: فريق أصحاب التقوى والاستعداد للآخرة وفريق الكفر والفسق والعصيان ونسيان الآخرة والبون العظيم بين جزاءيهما كما صورته القوى الإنجازية القولية لآية سورة الحشر الكريمة:" "لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)"التي استلزمت إنجازيًّا:

- **وعدًا للمتقين ووعيدًا للفاسقين:**

فقد أوضحت البون الشاسع بين مصيري الفريقين في الدنيا والآخرة؛ فالمتقون ربهم في سلوكهم وفي أقوالهم وأفعالهم وفي سرهم وجهرهم يستحقون جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ أما الفاسقون الكافرون الذين غفلوا عن ذكر الله ونسوا طاعته وخشيته ،وحقوقه وتعدوا حدوده؛ فقد صاروا بذلك من الأشقياء في الدنيا والخاسرين في الآخرة.

وقد جعل (الزمخشري) الإخبار بسلب التساوي بين الفريقين في الآية الكريمة تنبيهًا للناس وإيذانًا لهم " بأنهم لفرط غفلتهم، وقلة فكرهم في العاقبة، وتهالكهم على إيثار العاجلة، واتباع الشهوات: كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبون العظيم بين أصحابهما، وأن الفوز مع أصحاب الجنة، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه([2])".

في ضوء ما سبق يمكن القول بصورة موجزة أنه من المحال أن يكون المعنى الحرفي هو المعنى الوحيد للخطاب القرآني وبناءً عليه تبين أن قوى الإنجاز المستلزم قد حولت الأنماط

---

[1] . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- الآلوسي(أبو الفضل شهاب الدين ت١٢٧٠هـ)- ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان- د.ت- م٩/ ص١٧٢

[2] . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر ت٥٣٨هـ)- تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُحَّد معوض – ط١- مكتبة العكبيان- ١٩٩٨م- ٨٥/٦

الخطابية المتنوعة في آيات سلب التساوي إلى سلوك لغوي ووسيلة فعلية، وأداء إنجازي يؤدي وظيفة تواصلية ومقصدًا شرعيًّا.

فاستظهار الخضوع لله والامتثال لأوامره التي استلزمها الرد على الأقوال المفتراه كذبًا بأنه ﷺ، مادام رسولا من عند الله ،كما يقول، إذن يستطيع أن يمتلك خزائن الله ويسوق الخير إليهم ويتنبأ بما يستقبل من خير أو شر؛ الأمر الذي استوجب منه صلوات الله عليه وتسليمه أن يخبرهم أنه بشر يُوحى إليه مكلف من رب العالمين بهداية الناس أجمعين ويمتثل لأوامره، عز وجل، ويخضع له. كما انبثقت قوى الترهيب والتعجيز والتبكيت من تصوير حال هؤلاء المشركين الذين يتخذون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويعجزون عن دفع الضرر عنهم ولا يملكون من أمرهم شيئا على الرغم من إقرارهم بأن الله وحده خالق السماوات والأرض وما بينهما ووحده الذي يسخر الشمس والقمر؛ فحالهم هذه كمثل الأعمى الذي لا يبصر ولا يدرك حقيقة الأشياء وكمثل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له؛ فهؤلاء المشركين قد أعدَّ الله لهم عذابًا مقيمًا ولا يمكن مساواتهم بالمؤمنين المقرين بالتوحيد قولًا وفعلاً أولئك الذين يلجأوون إلى الله وحده في السراء والضراء. كما حثت الآيات الكريمة على نصرة دين الله وأخبرت بفضل الجهاد في سبيله واحتملت وعدًا للمجاهدين بالفضيلة والثواب والجزاء الأوفى، وفي الوقت نفسه رهَّبت من القعود عنه وما ينتظر القاعدين من سوء العاقبة، ورغبت في الصبر على الأعداء والدفع بالتي هي أحسن؛إذ ينجم عن ذلك تحول العدو المشاقق إلى خليل حميم مصاف؛ إذن، فالإخبار بالتفاوت بين النقيضين: الحسنات والسيئات ،والخبيث والطيب، والمؤمن والكافر ، والمجاهد والقاعد عن الجهاد،والقانت والعاصي، والعالم والجاهل، والضال والمهتدي، والمدرك لحقائق الأمور والأعمى عنها المتخبط الأصم الذي آثر الدعة والخمول، وأهمل النظر والتفكر والتدبر؛ فالإخبار بالتفاوت ليس مقصودًا لذاته؛ فالتباين معلوم بالضرورة لكل ذي لُبٍ؛ غير أن ذكره يستلزم معاني أخرى كشفت عنها القرائن المقالية والمقامية.

المبحث الثالث

آليات تعزيز الإنجاز اللغوي في آيات سلب التساوي.

إن النسيج اللغوي لأي خطاب- مكتوبًا كان أو منطوقًا- قد يتطلب من مرسله تعديلا لإنجازه القولي المعبر عن فعل كلامي معين من أجل توجيه سلوك المستقبِل تجاه المحتوى القضوي في سياقه المنطوق،قبولا أو رفضًا.

ويعدُّ هذا التعديل المعزز للنسق الخطابي دليلًا على وعي المتكلم بمقصده، وإدراكه لمقتضيات السياق وتقديره لحال المخاطب وكلها أمور ترتبط ارتباطًا كبيرًا بكفاءة مرسل الخطاب وقوة أدائه اللغوي.

وتأتي آيات سلب التساوي وقد اشتملت على آليات لغوية وأخرى بلاغية عززت الإنجاز القولي وقوّت مساره الدلالي؛ فأضافت قوة إلى قوتها الإنجازية جعلتها تناسب المقاصد المرادة وتقربها إلى أذهان المخاطبين، وذلك وفقا للمطلبين الآتيين:

- المطلب الأول: الآليات اللغوية(التركيبية والمعجمية) المعززة للإنجاز اللغوي.
- المطلب الثاني: الآليات البلاغية المعززة للإنجاز اللغوي.

-المطلب الأول: الآليات اللغوية (التركيبية والمعجمية)المعززة للإنجاز اللغوي.

أولا: آليات تركيبية معززة للإنجاز اللغوي:

إن للتراكيب اللغوية- الإسنادية وغير الإسنادية- في آيات سلب التساوي دورًا في تعزيز قوى الإنجاز اللغوي المنطوق والمستلزم على حد سواء. يبدو ذلك جليا لمن يتأمل التركيب الاسمي (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ) المكون من الخبر المقدم(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)، والمبتدأ المؤخر(أُمَّةٌ) في آية سورة آل عمران(" لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) الذي دفع توهم المساواة بين الأمم القانتة والأمم الفاسقة،كما أن مجيئه على هذه الصورة التركيبية قد وجّه عناية المتلقي إلى هذه الفئة من مؤمني أهل الكتاب؛ تمهيدًا لتعداد محاسنها ومآثرها، كما وجّه دلالة الإنجاز القولي نحو التحديد والتخصيص لتلك الفئة من الناس أو تحديد الأسباب التي نفت التساوي وأزالت

الإبهام الذي قد يعلق بذهن المتلقي، وذلك بحصر الصفات المحدِدة والملامح المميزة لتلك الفئة التي أجمع جمهور المفسرين على أن المراد بها "كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان ...، وعلى هذا القول يكون المسلمون من جملتهم.([1])". وقد أثنى عليهم الذكر الحكيم ومدحهم بصفات كشفت عنها القوى الإنجازية القولية للآية الكريمة؛ فهم:

- فئة معتدلة مستقيمة مطيعة لأوامر الله متبعة لأنبيائه. يقومون الليل ويكثرون التهجد وتلاوة القرآن الكريم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات؛ فهذه الملامح التمييزية والصفات الجليلة والخصال الحميدة التي تتحلى بها تلك الفئة قد حددت أسباب كونهم من الصالحين.

وفي السياق ذاته يعزز المركب الإسنادي الفعلي "وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ" الإنجاز القولي والمستلزم لآية سورة المائدة "قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠٠)" فقد أسهم في تقوية سلب التساوي بين الطيب والخبيث وذلك بزيادة حمولته الدلالية؛ فالخبيث، حتى لو كان كثيرا ويعجب من يراه، لا يتساوى مع الطيب ولو كان قليلا؛ الأمر الذي أكدته السنة النبوية المطهرة؛ فقد ساق الواحدي في أسباب نزول الآية الكريمة- كما مرَّ ذكره في هذا البحث- من أن رجلًا قبل إسلامه، كانت تجارته الخمر واعتقب منها مالا كثيرا؛ فسأل النبي ﷺ: أينفقها في طاعة الله؟ في جهاد أو حج؛ فأجابه ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب؛ فالحلال القليل الذي ينفع صاحبه وينفع الناس جميعًا خير وأبقى من الحرام الكثير الذي يضر صاحبه ويضر الناس جميعا؛ الأمر الذي تأكد كذلك بقول النبي ﷺ:"ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى([2])."

---

[1] . ينظر: تفسير المنار- محمد رشيد رضا- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م- ٥٩/٤

[2] .الحديث رواه أبو الدرداء ونصه:"ما طلعت شمسٌ قط إلَّا بعث بِجنبَتَيها ملكانِ ينادِيان يُسمعان أهلَ الأرضِ إلَّا الثقلينِ يا أيُّها الناسُ هلُموا إلى ربِّكم فإنَّ ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألْهَى ولا آبت شمسٌ قطُّ إلَّا بعث بِجنبَتَيها ملكان ينادِيان يُسمعانِ أهلَ الأرضِ إلَّا الثَّقلينِ اللَّهمَّ أعط منفقًا خلَفًا وأعطِ ممسِكًا تلَفًا." أخرجه أحمد(٢١٧٢١) وابن حبان(٦٨٦)

كما قام هذا المركب الإسنادي الفعلي بدور تعزيزي للقوى الإنجازية المستلزمة وقوَّى غرضها الإنجازي من الحث على الطيب، قولا وعملا، والترغيب فيه وإن قلَّ، وتجنب الخبيث والابتعاد عنه، والترهيب منه ومن عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع، حتى ولو كثر وأعجبتنا كثرته؛ فالمؤمن المستقيم العاقل المتدبر يحرص على أن يسلك سبل الكسب الطيب الحلال في مأكله ومشربه وفي سائر أحواله ، وأموره الحياتية كافة؛ حتى لو كان قليلا؛ فهو أطيب وأفضل من الكثير الخبيث الذي اكتسبه الإنسان من طرق غير مشروعة أو غير صالحة للكسب؛ فعلى المؤمن الواعي أن يراقب الله، سبحانه وتعالى، في مكسبه وتحري الحلال في أعماله كافة؛ لئلا يأتي ما يغضب الله ويبتعد عما أباحه له ، وعليه أن يحذر ما حرَّم الله، ويتجنب ما يضره في دينه ودنياه من قول أو فعل.

كما أسهم المركب الإضافي (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) في تعزيز مسار القوى الإنجازية للآية الكريمة من سورة النساء:"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٩٥".؛ إذ لم يكن نفي المساواة بين الفريقين: القاعدين والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم نفيًا مطلقًا؛ وإنما جاء مقيدًا بالاستثناء الذي أضعف قوة الإطلاق الدلالي في المنجز القولي ودفع توهم سلب التساوي المطلق بين المجاهدين والقاعدين؛ فقد استثنى المولى،عز وجل، من فريق القاعدين تلك الفئة من أولي الزَمانة والضعف البصري والبدني؛ فهم مساوون للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم؛ لأن العذر أقعدهم وقد أكدت السنة النبوية المطهرة هذا بما رواه أنس بن مالك،رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك؛ فدنا من المدينة؛ فقال:" لقد تَرَكْتُمْ بالمدينةِ أقوامًا ما سرتُمْ مسيرًا ولا أنفقتُمْ من نفقةٍ ولا قطعتُمْ من وادٍ إلَّا وَهُم معَكُم قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ يَكونونَ معَنا وَهُم بالمدينةِ ؟ قالَ: حبسَهُمُ العذرُ.([1])" غير أن المجاهدين بأموالهم وأنفسهم يفضلون القاعدين بعذر درجة؛ فالأولون فريق باشر الجهاد وطاعة رب العالمين؛ أما القاعدون من ذوي الزمانة والمرض والضعف البدني؛ فقد توجهوا بنيتهم إلى هذه الطاعة وقصدوها، وكلا الفريقين قد وعدهم الله الجنة.

[1] .سنن أبي داود(الإمام الحافظ أبي داودسليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)كتاب الجهاد،باب في الرخصة من القعود من العذر، تح:مُحَمَّد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، د.ت، رقم الحديث(٢٥٠٨)٣/١٢

ثانيا:آليات معجمية معززة للإنجاز اللغوي في آيات سلب التساوي.

أ- المفردات المعززة:

زخرت الآيات الكريمة بألفاظ معززة ومقوية لإنجازها اللغوي ومنها على سبيل المثال لفظة الشمول والعموم(كل) تلك التي تفيد تعميم أحكامها وتؤكدها وتزيدها تأثرا إيجابيا في أذهان المتلقين على تفاوت درجاتهم الاستيعابية.

وقد اتخذ الشمول والعموم الناجم من توظيف لفظة(كل) في آيات سلب التساوي مسارين، جاءا على النحو الآتي:

-أحدهما: شمول الجزاء وعمومه:

وذلك كما لوحظ في آية سورة النساء التي فضَّل الله فيها المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين بعذر درجة أن جزاء الجنة قد شمل الفريقين(وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) حتى لا يظن الذين أقعدهم العذر عن الجهاد في سبيل الله أن ليس لهم نصيب من هذا الجزاء الأوفر والحظ العظيم الذي سيناله المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ فأمر القعود عن الجهاد في سبيل الله بعذر يعوَّل فيه على النية المقصودة؛ فكلا الفريقين: المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والقاعدين عن الجهاد بعذر، قد وعدهم الله الحسنى.

كما أن هذه اللفظة(كل) تزيد من قوة الإنجاز التأثيرية التي ترغّب المتلقين في الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والنية؛ طمعًا في نيل الجزاء الأوفى.

وفي السياق ذاته الذي يؤكد شمول الجزاء للفريقين اللذين انتفى التساوي بينهما في الدرجة والفضيلة وهو ما كشفت عنه آية سورة الحديد(لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)"؛ فهؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل الفتح وقاتلوا المشركين أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا.

ويذكر الواحدي أن الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق، ﷺ، فيروى عن ابن عمر أنه قال:" بينا النبي – ﷺ – جالس وعنده أبو بكر الصديق، ﷺ، عليه عباءة قد خَلَّهَا

على صدره بخِلال، إذ نزل جبريل ،عليه السلام، عليه، وأقرأه من الله عز وجل السلام وقال: يا مُحَمَّد! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ قال: يا جبريل! أنفَقَ ماله عليّ قبل الفتح. قال: فَأَقْرِهِ من الله تبارك وتعالى السلام وقل: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي - ﷺ - إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر! هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: على ربي أسخط؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض."([1]).

ومن أجل هذا التخصيص جاء لفظ العموم(كلا) ؛دفعًا لتوهم المعتقدين أن من أنفق من بعد الفتح وجاهد ليس له نصيب من الجنة . فكل أولئك الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح والذين أنفقوا وقاتلوا بعد الفتح قد وعدهم الله الجنة ؛جزاءً بما قدموا من إنفاق في سبيله وقتالهم أعداءه الأمر الذي يزيد من الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وقتال أعداء الله في كل وقت يتطلب ذلك؛ طمعًا في نيل الجزاء الأوفى والأعظم من رب العالمين.

- **آخرهما: شمول القدرة على الأفعال كلها:**

كما حققت لفظة الشمول الدلالي (كل) تقوية خطابية إنجازية في آية سورة الرعد(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)"؛ فزادت الحجة إثباتًا على هؤلاء الذين يقرون ويعترفون بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالق السموات والأرض، وهم مع إقرارهم هذا يتخذون من دونه، تبارك وتعالى، أولياء يعبدونهم ويتقربون بهم إلى الله وهؤلاء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا. كما استلزمت لفظة الشمول(كل) تأثيرًا في المتلقي وإقناعا وإذعانا بأن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد القاهر فوق عباده الغالب لكل شيء بيده الأمر كله لا شريك له.

كذلك كشفت لفظة العموم(كل) في آية سورة فاطر(وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

[1] . ينظر: الواحدي- أسباب النزول – ١/٢١٠- رقم ٧٨٥

(١٢))عن تقوية ودعم وتعزيز لإنجازها المنطوق والمستلزم؛ فقد أكدت تلك اللفظة الدليل على وجود الله، عزوجل، وقدرته ووحدانيته؛ فهذان البحران متساويان في الصورة مختلفان في طبيعتيهما؛ فأحدهما عذب فرات،والآخر ملح أجاج، وهما مع اختلافهما بينهما أمور متشابهة؛ فمنهما نستخرج اللحم الطري المتمثل في الأسماك المتنوعة ونستخرج الحلية التي نتزين بها كاللؤلؤ والمرجان وغيرهما. الأمر الذي يقوّي الإنجاز اللغوي للآية الكريمة، ويجعلها تستلزم الإيمان بالله وحده لا شريك له والإيمان بكمال قدرته المطلقة، سبحانه، على كل شيء.

ب– التكرار:

- **تكرار القول المنفي(لا أقول)**

يعد التكرار في آيات سلب التساوي مقويًّا للنسق الخطابي يعمل على زيادة قوة المنطوق ،فضلا على تعزيز قوته الإنجازية المستلزمة الكامنة خلف منطوقه وما يستتبعها من تقرير المعنى ودور ذلك كله في التأثير في المتلقي. وقد بدا التكرار في آيات سلب التساوي من زوايا لفظية متنوعة تحمل كل منها فوائد دلالية شتى؛ فالمتأمل لقوله تعالى في آية سورة الأنعام الكريمة: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)" يلحظ أن تكرار نفي القول يحمل تعزيزًا لمسار إنجازه القولي؛ فقد أضعف القول الذي يعتقده هؤلاء الأقوام المعاندون ودفع توهم أولئك الذين يريدون أن تتجاوز قدرة النبي ،ﷺ، كونه بشرا رسولا إلى قدرة خارقة قاهرة تتحكم في أمور دنيوية هي بيد الله وحده لا شريك له؛ فقد طلبوا منه أن يوسع عليهم في أرزاقهم وما ينفعهم في دنياهم ويفتح عليهم أبواب الخير([1]).

فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن ينفي عن نفسه ،ﷺ، كونه ملكا؛ فقد كانوا يتعجبون من أنه بشر مثلهم يمشي في الأسواق ويتزوج النساء ويخالط البشر ويتعامل معهم.

[1] . ينظر: التفسير الكبير– الرازي(فخر الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر ت٦٠٤هـ)– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان ٢٠٠٤م– ١٩٠/١٢

وقد استلزم هذا القول المنفي إخبار النبي لهؤلاء الأقوام أنه بشر رسولا وليس ملكا ، وإثبات أنه لا يمكن لنبي أن يدعي لنفسه منزلة فوق كونه بشرا رسولا كما استتبع القول المنفي الذي أضعف اعتقاد هؤلاء الأقوام قوى إنجازية مستلزمة تقضي بوجوب إظهار الخضوع لله والاعتراف بألوهيته وحده لا شريك له، والتواضع له فضلا على ما ينجم عنه من قوة تأثيرية تتمثل في نفور المخاطب من هؤلاء القوم المتكبرين عن اتباع النهج القويم، والترهيب من الاستكبار عن عبادة الله، والخضوع له، تبارك وتعالى، ومن سوء العاقبة؛ والترغيب في عبادته وحده لا شريك له والإيمان بأنبيائه جميعهم وأنهم رسل مكلفون من لدن عزيز خبير يجب اتباع منهاجهم القويم الصائب والإذعان إلى تشريعاتهم والتخلي عما دونهم.

- **تكرار المركب الإضافي:**

فالمتأمل لقوله تعالى من سورة الحشر: "لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)" يقر أن سلب التساوي بين الفريقين: أصحاب النار وأصحاب الجنة معلوم بطبيعة الحال؛ غير أن التكرار بإعادة لفظ المركب الإضافي(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) الذين أخبرنا الله ،تبارك وتعالى، عنهم أنهم هم الفائزون؛ قد عزز مسار سلب التساوي ومنحه بيانًا وتأكيدًا على عظم هذا التفاوت بين الفريقين وتنبيهًا للمخاطب على علمه المسبق وزيادة وعيه بما ينفعه وبما يضره في الدنيا والآخرة؛ الأمر الذي يستلزم ترغيبًا في السير على نهج فريق أصحاب الجنة الفائزين برضوان الله وجناته ، والاقتداء بهم والتحلي بصفاتهم واتباع منهاجهم، كما يستلزم، على الجانب الآخر، تبكيتًا لأصحاب النار، و ترهيبًا من مماشاة هؤلاء الخاسرين رضوان ربهم من ذوي العاقبة السيئة وتجنب دروبهم ومسالكهم التي كانت سببًا في جعلهم أصحاب النار.

- **تكرار المركب الفعلي**

- إن تكرار المركب الفعلي(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ) في آية سورة النساء: " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ

الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)" قد منح الإنجاز اللغوي للآية الكريمة قوة وتقريرًا وتأكيدًا على عظم التفاوت بين الفريقين،وتوسيعًا للقضية الأساسية وهي تفضيل المجاهدين بإدخال معلومات جديدة عليها جعلتها تمايز بين الأجريْن في الحالتين، كما أثبت تكرار المركب الفعلي وأكد عظم شأن المجاهدين وما أعده الله لهم من نعيم مقيم؛ فالمركب الفعلي الأول فاضَلَ بين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبين القاعدين بعذر بدرجة؛ لأن المجاهدين باشروا الجهاد مع النية، وأولو الضرر كانت لهم نية غير أنهم لم يباشروا الجهاد؛ فنزلوا درجة .كما عزز تكرار المركب الفعلي مسار النفي المطلق للتساوي بين الفريقين نحو الممايزة والمفاضلة في الأجر كذلك ؛ فقد فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين بدون عذر أجرا عظيما([1]).

– المطلب الثاني :الآليات البلاغية المعززة للإنجاز اللغوي.

تتسم الآليات البلاغية بدورها في إيصال المعنى من أقرب طرقه اللفظية وأوجزها، وأمتعها؛ الأمر الذي يجعل الإنجاز اللغوي محكمًا ومضبوطًا بناءً ودلالة، وبرزت في آيات سلب التساوي مجموعة من الآليات البلاغية التي أسهمت في تقوية الإنجاز اللغوي وعززته وأكدته ،أذكر منها:

أولا– التذييل:

يعد من ضروب بلاغة الخطاب؛ إذ يقوم بإحكام الدلالة وتأكيدها ويحمل مضمون سابقها ويؤكده؛ فهو بمنزلة التكرار المفهومي الذي يقوي المعنى ويزيده وضوحًا، ويعرف اصطلاحا بأنه" تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام؛ لإفادة التوكيد، وتقريرًا لحقيقة الكلام وهو معدود من ضروب الإطناب، والتذييل ضربان:

– ضرب أخرج مخرج المثل: بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عمّا قبله جار مجرى الأمثال في الاستقلال وفشو الاستعمال.

[1] . معالم التنزيل– البغوي(الحسين بن مسعود ت٥١٦هـ) – تح: مُحَمَّد عبد الله الغرو وآخرين– دار طيبة للنشر والتوزيع– د.ت– المجلد الأول– ٢/٢٧١.

- وضرب منه لم يخرج مخرج المثل بأن لم يستقل بإفادة المراد، بل يتوقف على ما قبله.([1])"

والمتأمل لآيات سلب التساوي يلحظ أن التذييل فيها لم يستقل بالمعنى المراد وإنما أكَّد المعنى السابق تأكيدًا ضمنيًّا، وبدا ذلك واضحًا في آية سورة الحديد قال تعالى: " وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)"؛ فالتذييل بالآية الكريمة(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) الذي أكد المعنى وأحكم الدلالة وزادها رسوخًا في ذهن المتلقين يعد مظهرًا من مظاهر تقوية الإنجاز القولي للآية الكريمة؛ فإن الله وحده لا شريك له الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم ما تنفقونه في سبيله وقتال أعدائه؛ فالذي ينفق في سبيل الله؛ طاعة له وابتغاء مرضاته يثيبه الله أجرًا عظيمًا، ومن لم ينفق في سبيله ستؤول أمواله التي يكتنزها في النهاية إلى من له ميراث السموات والأرض؛ وستكون وبالا عليه يعذبه بها الله في الدنيا والآخرة؛ كما تعد الآية الكريمة، في الوقت نفسه، مظهرًا من مظاهر تقوية الإنجاز المستلزم؛ إذ إن حقيقة اطلاع المولى، تبارك وتعالى، على عباده وما أعلنوا وما أخفوا وحقيقة علمه بالمنفقين منهم ؛فيثيبهم، والممسكين؛فيحرمهم أجورهم، فيها حثٌّ على الإنفاق وترغيب فيه في كل الأحوال ؛ لما يترتب عليه من زيادة الأموال وبركتها والإخلاف فيها،وترهيب من الإمساك عن الإنفاق الذي يتلف المال ويجعله في نقصان مستمر ولن يفيد صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة.

كما أن الآية الكريمة من سورة الحشر (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)التي ذيلت قوله تعالى: " لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)" تعدُّ إطنابًا يؤكد معنى الآية الأولى، إذ إن التفاوت بين فريقي الجنة والنار معلوم بالضرورة؛ لأن أصحاب الجنة هم الناجون من النار الفائزون بالدرجات العلى؛ فتكرار المعنى بالعبارة المذيلة للآية الكريمة قد منح القوى الإنجازية القولية مزيد بيان وتوكيد كما أكسب قواها

[1] . معجم البلاغة العربية- بدوي طبانة- ط٣- دار المنارة – جدة ١٩٨٨م. ص٢٣٤

الإنجازية المستلزمة تأكيدًا على الترغيب في كل عمل أو قول يقرب صاحبه من الجنة ويجعله فائزا برضوان الله، كما يرهب من سخط الله وعذابه للعاصين من الناس المعاندين المصرين على ما فعلوا.

وتنهض الآية الكريمة (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) التي ذيلت آية سورة التوبة الكريمة:" أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ (١٩)" بتوكيد القوى القولية للآية الكريمة التي أفادت توبيخًا لهؤلاء الأقوام الذين توهموا المساواة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، كما أكدت سلب التساوي بين هذين الفريقين، ونفي أن يهدي الله هؤلاء الظالمين الذين يعتقدون أن التطوع بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج أفضل من الجهاد في سبيل الله، كما أنها ترغب في الجهاد في سبيل الله مع الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فهو من أفضل الأعمال وأجلها وأعظمها درجة عند الله.

ثانيا– أسلوب القصر:

يعد القصر من المحددات الدلالية؛إذ يخصص شيئا بشيء معين يقصره عليه ويحصره فيه حصر ملازمة وانحباس؛ فتتضح في ذهن المتلقي صورته؛ مما يزيل ما كان لديه من شك أو إنكار أو لبس، ويسوق السكاكي(ت٦٢٦هـ) الحالات المقتضية للقصر؛إذ يقول:" أما الحالة المقتضية لقصر المسند إليه على المسند فهي أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ وأنت تريد تقرير صوابه ونفي خطئه؛ مثل أن يكون عند السامع أن زيدا متمول وجواد فتقول له: زيد متمول لا جواد؛ ليعرف أنه مقصور على التمول لا يتعداه إلى الجود.([1])" فقد ذكر السكاكي هنا صورة واحدة من صور أسلوب القصر المتعددة، وقد شكّلت في آيات سلب التساوي مقويات ومعززات للإنجاز اللغوي القولي والمستلزم، ومنه على سبيل المثال، ما جاء في قوله تعالى من سورة الأنعام: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ

[1] .مفتاح العلوم– السكاكي(أبو بكر مُحَمَّد بن علي ت٦٢٦هـ)– تح: نعيم زرزور– ط٢– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان١٩٨٧م– ص٢٩٣.

اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)"

فالمتأمل لقوله تعالى" إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ" يبدو له واضحًا ومحددا أن كون الرسول، ﷺ ،بشرا يتبع ما يوحى إليه ويلازمه دون غيره ولا يحيد عنه إلى غيره؛ قد نفى اعتقاد هؤلاء المكذبين المعاندين وأزال عن الفكر كل شك وإنكار للرسالة، وقرر امتثال النبي، صلى الله عليه وسلم، لأوامر ربه والتزامه باتباع ما يُوحى إليه فقط ،كما جاء القصر مؤكدا الإنجاز القولي للآية الكريمة ومقويا إنجازيا لنفي الجمل الثلاث(لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ)،(وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)،(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ)، التي تدرج فيها من نفي العام إلى نفي الخاص إلى نفي الأخص؛ فقد ذكر أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) أن هذا النفي جاء" عَلَى سبيلِ التَّرَقِّي فنفى أولا ما يتعلق به رغباتُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنَ الأرزاقِ الَّتِي هِيَ قِوَامُ الْحَيَاةِ الْجُسْمَانِيَّةِ، ثم نفى ثانيا ما يتعلق بِهِ وتتشوَّفُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الفاضلةُ من معرفةِ مَا يَجهلونَ وَتَعرُّفِ ما يَقعُ مِنَ الكَوائِنِ ثُمَّ نَفى ثَالثًا مَا هُوَ مُخْتَصٌّ ببذاتِهِ مِنْ صفةِ الْمَلَائِكةِ التي هي مُبَايِنَةٌ لصفةِ البشريَّةِ فَتَرَقَّى فِي النَّفْيِ مِنْ عامٍّ إلى خَاصٍّ إِلَى أخص، ثم حَصَرَ مَا هُوَ عليهِ فِي أحوالِهِ كلهَا بقولِهِ: "إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ " أي أنا متبع ما أوحى اللَّهُ غير شَارِعٍ شيئًا من جهتي ([1])."

حيث تأكد نفي الحالات الثلاثة بقصر ما هو عليه ﷺ، في أحواله كلها بقوله تعالى: " إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ" فقد أجمل أسلوب القصر الكلام السابق له بعد تفصيله وخصص دلالته وأكدها بالتكرار الضمني للمعنى السابق عليه.كما أكد الإنجاز اللغوي المستلزم للآية الكريمة وذلك ببيان حقيقة الرسالة ونفي اعتقادهم أن الرسول لا يكون رسولا حتى يعلم المغيبات ويطلعهم على مستقبل الدهر، ويسوق لهم أرزاقهم ويأتيهم بالعجائب وخوارق العادات.

[1] . البحر المحيط- أبو حيان(مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي ت ٧٤٥هـ)- تح: صدقي مُحَمَّد جميل – د.ط – دار الفكر العربي ١٤٢٠هـ - ٥١٩/٤

كما بدا واضحا القصر بـ"إنما" من قوله تعالى في سورة الزمر: "أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ(٩)". وقد أوضح الجرجاني دلالة القصر بـ(إنما) في الكلام بقوله:"اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره؛ فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو([1])."، ويشير في موضع آخر إلى دور(إنما) التعزيزي في الكلام وما تتعلق به من تنبيه المخاطب الغافل عن أمر معين لا يجهله ولا يدفع صحته؛ فتسهم في تعديل موقفه؛ إذ يقول:"اعلم أن موضوع(إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه، وتفسير ذلك أنك تقول للرجل:إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه في حق الأخ وحرمة الصاحب.([2])".

وقد نهض القصر بـ(إنما) في الآية الكريمة بتقوية الإنجاز اللغوي القولي والمستلزم؛ فقد أكد على ضرورة إدراك الهوة الكبرى بين الذين يعلمون ويدركون حقيقة الأشياء على ما هي عليه ؛فيعبدون الله ولا يشركون به شيئا وبين الذين لا يعلمون الذين اختلطت عليهم حقائق الأشياء وجرت عندهم بغير نظام ؛ فهذا العلم مقصورٌ على أصحاب العقول المنصفة الخالصة من شوائب الخلل؛ فأهل العقول الصحيحة هم أهل العلم والإدراك والتذكر؛ "فلما كان أهل العلم هم أهل التذكر دون غيرهم أفاد عدم استواء الذين يعلمون والذين لا يعلمون .فليس قوله: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) كلاما مستقلا.([3])"، كما جاء القصر مقويًّا للإنجاز المستلزم للآية الكريمة؛ فقد أثبت تفضيل العالم المؤمن على غيره وقرر الفضل للذين يعلمون على وجه العموم.

[1] .دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني–ص٣٣٥

[2] . دلائل الإعجاز – ص٣٣٠

[3] . التحرير والتنوير– ٣٤٩/٢٤

- ثالثا-التصوير البلاغي:

بدا واضحًا في تمثيل الخطاب القرآني،في آيات سلب التساوي، لحالي(المؤمن، والمشرك)، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالاستعارة التمثيلية([1])؛ فقد مثَّل حال المؤمن الذي يعبد الله وحده لا شريك له بحال العبد المملوك لرجل واحد لا ينازعه فيه غيره فهو يعرف مقصوده وينفذ أوامره؛ فبذلك تحصل له الراحة التامة كما أن هذا المؤمن حر ينفق مما رزقه الله وفي سبيله ويأمر بالعدل وهو على طريق مستقيمة.

أما حال المشرك الذي يدعو مع الله أندادا فقد مثَّله بحال العبد المملوك لمجموعة من الناس المتشاكسة مختلفة الرؤى والأهواء والميول؛ فكل منهم يريده وفق هواه؛ فيصير ضعيفًا مضطربًا حائرًا غير مستقر وفي شك مستمر ولا يقوى على فعل شيء ولا يأتي بخير أبدا "فإن بينهما من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوه باستوائهما؛لأن أحدهما في أعلى المنازل، والآخر في أدناها([2])." وذلك كما صورته الآيات الكريمة:

- "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)" سورة الزمر

- "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦)" سورة النحل.

فقد صوّرت حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة بحال رجل مملوك لمجموعة متشاكسة من الشركاء المختلفين في طبائعهم ورغباتهم وميولهم وأهوائهم؛فأحدهم يوجهه إلى أمر والآخر يوجهه إلى خلاف ما وجهه الأول إليه، والثالث يطلب منه أمرًا آخر مختلف عنهما

---

[1] . عرف الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) الاستعارة التمثيلية بأنها:" تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبّهة في جنس المشبّه بها؛ مبالغة في التشبيه؛ فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه." ينظر: الإيضاح، ضمن كتاب شروح التلخيص- دار السرور- بيروت – د.ت- ١٤٢/٤.

[2] . فتح القدير- الشوكاني- ص١٢٨٢

وهكذا هو في حيرة من أمره واضطراب وشك مستمر في رضى بعضهم وفي سخط بعض؛إذ أن من المحال أن ينال رضاهم جميعا وهم مختلفون؛ فيستتبع ذلك إصابته بالشقاء والعناء والتعب والاضطراب المستمر.

أما المؤمن بالله الذي يعبد الله وحده لا شريك له ويتبع أوامره ويتجنب ما نهاه عنه مثله كمثل عبد مملوك لرجل واحد؛ فالمؤمن يسعى إلى رضى ربه وحده لا شريك له، ويمتثل لأوامره ؛فينال حسن الجزاء والثواب الأوفى فضلا على شعوره بالرضى والاستقرار والطمأنينة وسلامة الصدر واليقين الذي يجعله يسلم من عناء الدنيا وشقائها وينعم برضى الله وجناته. كما مثّل لحاليهما، ما ورد في تفسير الطبري من قوله:"فأما مثل الكافر:فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا؛ فهو ينفق منه سرا وجهرا.([1])"

كما أجمل ابن عاشور الفرق بين حاليهما بقوله:" كذلك الحال في كل متبع حق ومتبع باطل فإن الحق هو الموافق لما في الوجود والواقع. والباطل مخالف لما في الواقع؛ فمتبع الحق لا يعترضه ما يشوش عليه بالله ولا يثقل عليه أعماله، ومتبع الباطل يتعثر به في مزالق الخطى ويتخبط في أعماله بين تناقض وخطأ...، هل يكون هذان الرجلان المشبّهان مستويين حالا بعدما علمتم من اختلاف حالي المشبهين بهما([2])."

فقد صوّر التمثيل، بوصفه مقويًا خطابيًّا، حيرة المشرك وضعفه وضلاله في سعيه. كما صوّر اطمئنان المؤمن وقوته وهدايته، وأمره بالعدل أدق تصوير وأوضحه وأقربه إلى أذهان المخاطبين؛ فبدا المعنى واضحًا بجلاء وقويًّا في الأذهان؛ الأمر الذي عزز الإنجاز القولي للآيات الكريمة موضحًا مقدار حاليهما(المؤمن والمشرك) من القوة والضعف والهداية والضلال واليقين والشك. كما عزز التمثيل القوى الإنجازية المستلزمة للآيات الكريمة ؛ فقد

[1] .جامع البيان- الطبري- ٢٦١/١٧

[2] . التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٤٠٠/٢٤

أبان بوضوح جلي أفضلية المؤمن الموحد القانت على المشرك الضال المتخذ أندادا وما بينهما من بون شاسع يدركه المتأمل في حاليهما.

ويؤكد عبدالقاهر الجرجاني على قيمة التمثيل في تقوية المعنى، بقوله:"واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا...، فإن كان مدحًا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم...، وإن كان ذما كان مسَّه أوجع...،ووقعه أشد...، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر([1])."

خلاصة القول: إن الآليات اللغوية والبلاغية في آيات سلب التساوي قد نهضت بتعزيز القوى الإنجازية وفق قرائن مقالية ومقامية ؛فقد عزز النسق الخطابي التركيبي المسار الدلالي في الآيات الكريمة، وذلك من خلال:

- التحديد الدلالي وتعيين الصفات؛ فقد حدد الملامح المميزة للأمة القانتة المستقيمة وعيَّن صفاتها، تلك الصفات التي كانت سببا في جعلهم من الصالحين، كما حددت جهة أفضليتهم على الأمة الفاسقة؛ ليظهر للمخاطب البون الشاسع بينهما؛ فيقتدي بالأمة القانتة، ويتجنب دروب الأمة الفاسقة الضالة.

- تقييد حكم شرعي قد يتوهمه المخاطب مطلقا وذلك على نحو ما سلف من استثناء أولي الضرر من الجهاد في سبيل الله، فقد أضعف هذا الاستثناء الإطلاق الدلالي؛ ودفع توهم أن القاعدين عن الجهاد بعذر يشملهم واجب الجهاد.

- الترغيب في الكسب الحلال وتجنب الخبيث والابتعاد عنه حتى لو كثر وأعجبتنا كثرته.

كما نهضت الآليات المعجمية باستثمار خصائصها الدلالية في تعزيز قوى الإنجاز في الآيات الكريمة، وذلك من خلال:

[1] .أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني- قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر- مكتبة المدني- القاهرة – د.ت- ص١١٥

– شمول الجزاء وعمومه الذي نهضت به المفردة(كل)، كما مر، في قوله تعالى:" وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى "؛ فقد غيرت المسار الدلالي، ودفعت توهم الذين أقعدهم العذر عن الجهاد في سبيل الله، أن ليس لهم نصيب من هذا الجزاء الأوفى والحظ العظيم الذي ينتظر المجاهدين بأموالهم وأنفسهم.

– شمول القدرة على الأفعال كلها،كما مر سلفا،في آية سورة الرعد:"قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"؛فقد قوَّت الحجة وزادتها إثباتا على هؤلاء الذي يقرون ويعترفون بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالق السماوات والأرض،وهم مع إقرارهم هذا يتخذون من دونه،سبحانه، أندادا مخلوقة ضعيفة لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرًّا.

– الإخبار بقدرة الله وكمالها التي لا تضاهيها قدرات البشر ولا غيرهم، كما أقرت لفظة الشمول(كل) بكمال حكمته، تبارك تعالى، وإحاطته بكل شيء علما، كما مر في قوله تعالى:" وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا"

– إضعاف القوى الإنجازية الذي شكلَّه تكرار القول المنفي(لَا أَقُولُ لَكُمْ) فقد مثَّل إضعافا لمعتقد هؤلاء المكذبين الذين يريدون أن تتجاوز قدرة النبي كونه بشرا رسولا إلى قدرة خارقة قاهرة تتحكم في أمور كلها بيد الله وحده لا شريك له وليست بيد أحد من المخلوقين.

– التقرير والتأكيد على عظم التفاوت بين الفريقين(المجاهدين بأموالهم وأنفسهم–والقاعدين عن الجهاد) الذي عززه المركب الفعلي(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ)؛كما نهض بتوسيع قضية تفضيل المجاهدين بإدخال معلومات جديدة عليها جعلتها تمايز بين أجريهما في الحالتين الأخريين، وهما(الجهاد بالمال والنفس–والقعود عنه بعذر)؛ فالمجاهدون باشروا الجهاد مع النية، وأولوا الضرر كانت لهم نية غير أنهم لم يباشروا الجهاد؛ فنزلوا عنهم درجة.

وكذلك شكّلت الآليات البلاغية تقوية وتعزيزا دلاليين في الآيات الكريمة لما تتسم به تلك الآليات من إيجاز وإحكام تصويري يقرب المعنى ويوضحه فضلا عن خصيصتها الإمتاعية التي تسهم في زيادة تأثيرها في المخاطبين،وقد بدا ذلك واضحا عن طريق ما يأتي:

- تقوية المعنى وتأكيده الذي نهض به(التذييل) بوصفه مؤكدا ومحكما وضابطا للدلالة؛ إذ يعمل على ترسيخ المعنى في أذهان المخاطبين، كما مر سلفا في الآية الكريمة: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) التي ذيَّلت آية سورة الحديد، التي أكدت مفاد الآية كلها بأن الله وحده لا شريك له يعلم ما تنفقونه في سبيله وقتال أعدائه، كما عزز هذه التذييل بالآية الكريمة قوة الحث والترغيب في الإنفاق سرًّا وجهرًا، وعلى الجانب الآخر عزز قوة الترهيب من الإمساك عن الإنفاق. وكذا التذييل بقوله تعالى من سورة التوبة: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) قد قوّى المعنى، وأكد سلب التساوي بين هذين الفريقين، وقرر توبيخ هؤلاء الأقوام الظالمين الذين توهموا المساواة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله.

- التحديد الدلالي وإجمال ما سبق تفصيله ، الذي نهض به أسلوب القصر لما يتسم به من تخصيص شيء بشيء معين وقصره عليه؛ الأمر الذي يوضح الصورة ويقربها في أذهان المخاطبين ويزيل ما اعتراهم من شكٍ أو إبهام أو إنكار، كما رأينا في آية سورة الأنعام:" " إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ" ؛فقد أكدت التزام النبي ﷺ باتباع ما يوحى إليه وامتثاله لأوامر الله وخضوعه لتعاليمه، تبارك وتعالى. كما ظهرت قوة أسلوب القصر التحديدية في قوله تعالى:" إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " التي أبرزت الهوة الكبرى بين الذين يعلمون ويدركون حقيقة الأشياء وبين الذين اختلطت عليهم الحقائق أو جرت عندهم بغير نظام؛ فقد أفاد القصر تقرير تفضيل العالم المؤمن على غيره وحصر الفضل للذين يعلمون ويدركون ويتدبرون ويتذكرون، أولئك هم أولو الألباب.

- تقريب الصورة إلى أذهان المخاطبين بأوجز الطرق وأدقها وأروعها الذي جاء به التصوير التمثيلي في الآيات الكريمة؛ فقد صوَّرت الفرق بين حالي(المؤمن والمشرك)؛ فالأول ينعم بالهدى والسكينة والطمأنينة واليقين بوعد الله للمؤمنين؛ لأنه يعبد إله واحد يعرف مقصوده ويتبع تعاليمه وأوامره ويتجنب نواهيه؛ فأنعم الله عليه بالرضى وسلامة الصدر والراحة التامة، والآخر لا يلقى إلا ضلالا واضطرابا وشقاء وعناء وشكا؛ فهو في حيرة من

أمره لا تنقطع؛ لأنه يتخذ أندادا يعبدها من دون الله لا تملك من أمر نفسها شيئا ولا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة.

رابعًا– الخاتمة: (النتائج والتوصيات) :

ارتكزت بؤرة هذه المعالجة البحثية حول عناصر الدرس اللساني التداولي بوصفها ركائز رئيسة ينهض عليها هذا المنهج اللساني، وقد حاول البحث إيضاح هذه العناصر في آيات سلب التساوي في القرآن الكريم ،وبيان مظاهر ذلك؛ فأسفر عن مجموعة من النتائج والتوصيات، جاءت على النحو الآتي:

أ) نتائج الدراسة:

– إن الخطاب القرآني بطبيعته يتسم بأنه خطاب سلطة يتجسد في منجزه فعل(التوجيه) سواء كان فعلا إنجازيًّا قوليًّا ينهض به النمط الحرفي للخطاب أو فعلا إنجازيًّا مستلزمًا يكمن خلف إخبار أو التزام أو تعبير بوحي، أو غير ذلك من الأنساق الخطابية التي يزخر بها القرآن الكريم.

– إن سلب التساوي بين شيئين يدل على نفي استوائهما في كل وجه ممكن، الأمر الذي يقتضي في مضمونه معنى التعميم إلا ما قيَّده الخطاب القرآني بقيد يدفع توهم هذا التعميم أو الإطلاق.

– إن المقصد العام من وراء سلب التساوي في القرآن الكريم هو الكناية عن البون الشاسع بين الشيئين وتعيين المفضل منهما على الآخر.

– توصل البحث إلى تحديدات مفاهيمية موجزة لبعض المصطلحات التي تعد ركائز رئيسة لهذا البحث، ومنها: القوة الإنجازية:وهي القدرة الفاعلة والطاقة النشطة التي تتشكل الأفعال الإنجازية بمقتضاها متخذة في ذلك مسارين لا ينفصلان هما: قوى الإنجاز القولي، وقوى الإنجاز المستلزم.

- والقوة الإنجازية القولية: وهي قوى الخطاب الحرفية المؤَشَّرَة بالأدوات اللغوية التي يتلفظ بها المتكلم وفق ما يقتضيه سياق التلفظ.

- والقوة الإنجازية المستلزمة: هي التي تخالف النمط القولي وتنجم غالبا عن استلزام مقالي واستلزام مقامي في آنٍ واحد.

- أكد التصنيف الدلالي لآيات سلب التساوي أن سلب التساوي بين الفاعلِينَ القائمينَ بالأفعال قد اتخذ مسارات دلالية متعددة ومتنوعة وأكثر تفصيلا من سلب التساوي بين الفعليْنِ؛ الأمر الذي يؤكد عناية الخطاب القرآني بالنفوس البشرية التي استخلفها الله في الأرض وأودع فيها عقلا يمايز ويختار ويدرك حقيقة الأشياء؛ فهو خطاب من لدن حكيم عليم بهذه النفوس وكوامنها وبما يحدث بين خلجاتها من صفات الخير والشر وسبل هدايتها إلى الصراط المستقيم وإيقاظها من غفلتها أو من سباتها العميق، وحثها على عبادة الله وحده لا شريك له، وترغيبها في العمل الصالح؛ لتكون نفسا سوية مؤمنة موحدة مطيعة وقانتة وقائمة بفضائل الأعمال بصيرة بطبائع الأمور ممايزة بين ما هو ضار وما هو نافع تلك النفس يبشرها الحق تبارك وتعالى برضاه ونيل جزائه الأوفى من الثواب. وعلى الجانب الآخر ينذر الخطاب القرآني في آيات سلب التساوي أولئك القائمين بالأعمال الطالحة الذين يدعون مع الله إلها آخر ولا يدركون بعقولهم التي منحها الله إياهم ،وجعلها تميزهم عن الدواب، حقائق الأمور ولا يستطيعون الممايزة بين الحق والباطل؛ فعقولهم المريضة تهوى الباطل وتميل إليه وتتبع هواها؛ فهي نفوس عاصية كافرة قائمة برذائل الأعمال وهنا ضرب لهم الأمثال؛ فمثلهم كمثل الأعمى والأصم الذي لا يقدر على رؤية شيء أو سماعه؛ فهو في ضلال وتخبط وسوء مسعى كالدواب التي لا تعقل بل هم أضل سبيلا؛ فهذا ترهيب لهم وتحذير من عاقبة أمرهم إن لم يعودوا إلى رشدهم وصوابهم باتباع أوامر الله وتجنب نواهيه والتصديق برسله وما أرسلوا به وقد نفى الخطاب القرآني التساوي بين هؤلاء الفاعلين؛ بغية إظهار فضائل الفريق المهتدي والترغيب في الاقتداء بهم أولئك الذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يتعدون حدوده المطيعون أوامره والمجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم، المجتنبون نواهيه والفواحش ما ظهر منها وما بطن أولئك أصحاب الجنة كما وصفهم الخطاب

القرآني. والترهيب من اتباع الفريق الآخر هؤلاء المضلين الضالين الكافرين بالله الذين يدعون مع الله إلها آخر العصاة لأوامره الفاسقين الذين يأتون ما حرّم الله ويكذبون رسله أولئك أصحاب النار كما وصفهم القرآن الكريم.

– فقد اتخذ سلب التساوي بين الفريقين –كما مرَّ– مسارات متعددة؛ فنفى التساوي بين المطيعي ربهم وبين المتبعي هواهم، وبين الكافرين بالله الذين يعبدون آلهة متعددة وبين المؤمنين بالله وحده لا شريك له وبين القائمين بفضائل الأعمال وبين من لديهم عمه في بصائرهم الذين لا يتدبرون الأمور وعاندوا وكذبوا الرسل وبين البصراء ذوي العقول المميزة لحقائق الأمور.

– أما سلب التساوي بين الفعلين؛ فقد اتخذ مسارين دلاليين عامين مجملين لكل حركات الفاعلين وما يقومون به؛ فقد نفى الخطاب القرآني التساوي بين فعل الحسنات وفعل السيئات وبين الخبيث والطيب؛ فجاء المجالان أكثر إجمالا من المجال الدلالي السابق (سلب التساوي بين الفاعلين) الذي جاء مفصلا مسارات سلب التساوي؛ فالعلاقة بين المجالين علاقة العام بالخاص وعلاقة الإجمال بالتفصيل.

– أكد البحث أنه من المحال أن يكون المعنى الحرفي هو المعنى الوحيد للخطاب القرآني وبناءً عليه تبين أن قوى الإنجاز المستلزم قد حولت الأنماط الخطابية المتنوعة في آيات سلب التساوي إلى سلوك لغوي ووسيلة فعلية، وأداء إنجازي يؤدي وظيفة تواصلية ومقصدا شرعيا؛ فاستظهار الخضوع لله والامتثال لأوامره التي استلزمها الرد على الأقوال المفتراه كذبًا بأنه ﷺ، مادام رسولا من عند الله كما يقول إذن يستطيع أن يمتلك خزائن الله ويسوق الخير إليهم ويتنبأ بما يستقبل من خير أو شر؛ الأمر الذي استوجب منه صلوات الله عليه وتسليمه أن يخبرهم أنه بشر يُوحى إليه مكلف من رب العالمين بهداية الناس أجمعين وبمتثل لأوامره، عز وجل، ويخضع له. كما انبثقت قوى الترهيب والتعجيز والتبكيت من تصوير حال هؤلاء المشركين الذين يتخذون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويعجزون عن دفع الضرر عنهم ولا يملكون من أمرهم شيئا على الرغم من إقرارهم بأن الله

وحده خالق السماوات والأرض وما بينهما ووحده الذي يسخر الشمس والقمر؛ فحالهم هذه كمثل الأعمى الذي لا يبصر ولا يدرك حقيقة الأشياء وكمثل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له؛ فهؤلاء المشركون قد أعدَّ الله لهم عذابا مقيما ولا يمكن مساواتهم بالمؤمنين المقرين بالتوحيد قولا وفعلا أولئك الذين يلجأوون إلى الله وحده في السراء والضراء.

- كما حثت الآيات الكريمة على نصرة دين الله وأخبرت بفضل الجهاد في سبيله واحتملت وعدا للمجاهدين بالفضيلة والثواب والجزاء الأوفى، وفي الوقت نفسه رهَّبت من القعود عنه وما ينتظر القاعدين من سوء العاقبة، ورغبت في الصبر على الأعداء والدفع بالتي هي أحسن؛إذ ينجم عن ذلك تحول العدو المشاقق إلى خليل حميم مصاف؛ إذن، فالإخبار بالتفاوت بين النقيضين: الحسنات والسيئات،والخبيث والطيب، والمؤمن والكافر، والمجاهد والقاعد عن الجهاد، والقانت والعاصي، والعالم والجاهل،والضال والمهتدي، والمدرك لحقائق الأمور والأعمى عنها المتخبط الأصم الذي آثر الدعة والخمول، وأهمل النظر والتفكر والتدبر، فالإخبار بالتفاوت بينهما ليس مقصودا لذاته؛ فالتباين معلوم بالضرورة لكل ذي لب؛ غير أن ذكره يستلزم معاني أخرى كشفت عنها القرائن المقالية والمقامية.

-إن الآليات اللغوية والبلاغية في آيات سلب التساوي قد نهضت بتعزيز القوى الإنجازية وفق قرائن مقالية ومقامية.

فقد عزز النسق الخطابي التركيبي المسار الدلالي في الآيات الكريمة، وذلك من خلال:

-التحديد الدلالي وتعيين الصفات؛ فقد حدد الملامح المميزة للأمة القانتة المستقيمة وعيَّن صفاتها، تلك الصفات التي كانت سببا في جعلهم من الصالحين، كما حددت جهة أفضليتهم على الأمة الفاسقة؛ ليظهر للمخاطب البون الشاسع بينهما؛ فيقتدي بالأمة القانتة، ويتجنب دروب الأمة الفاسقة الضالة.

-تقييد حكم شرعي قد يتوهمه المخاطب مطلقا وذلك على نحو ما سلف من استثناء أولي الضرر من الجهاد في سبيل الله، فقد أضعف هذا الاستثناء الإطلاق الدلالي؛ ودفع توهم أن القاعدين عن الجهاد بعذر يشملهم واجب الجهاد.

-الترغيب في الكسب الحلال وتجنب الخبيث والابتعاد عنه حتى لو كثر وأعجبتنا كثرته.

كما نهضت الآليات المعجمية باستثمار خصائصها الدلالية في تعزيز قوى الإنجاز في الآيات الكريمة، وذلك من خلال:

-شمول الجزاء وعمومه الذي نهضت به المفردة(كل)، كما مر، في قوله تعالى:" وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى "؛ فقد غيرت المسار الدلالي، ودفعت توهم الذين أقعدهم العذر عن الجهاد في سبيل الله، أن ليس لهم نصيب من هذا الجزاء الأوفى والحظ العظيم الذي ينتظر المجاهدين بأموالهم وأنفسهم.

-شمول القدرة على الأفعال كلها،كما مر سلفا،في آية سورة الرعد:" قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ "؛ فقد قوَّت الحجة وزادتها إثباتا على هؤلاء الذي يقرون ويعترفون بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالق السماوات والأرض، وهم مع إقرارهم هذا يتخذون من دونه، سبحانه، أندادا مخلوقة ضعيفة لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرًّا.

-الإخبار بقدرة الله وكمالها التي لا تضاهيها قدرات البشر ولا غيرهم، كما أقرت لفظة الشمول(كل) بكمال حكمته، تبارك تعالى، وإحاطته بكل شيء علما، كما مر في قوله تعالى:" وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا "

-إضعاف القوى الإنجازية الذي شكلَّه تكرار القول المنفي(لَا أَقُولُ لَكُمْ) فقد مثَّل إضعافا لمعتقد هؤلاء المكذبين الذين يريدون أن تتجاوز قدرة النبي كونه بشرا رسولا إلى قدرة خارقة قاهرة تتحكم في أمور كلها بيد الله وحده لا شريك له وليست بيد أحد من المخلوقين.

-التقرير والتأكيد على عظم التفاوت بين الفريقين(المجاهدين بأموالهم وأنفسهم- والقاعدين عن الجهاد) الذي عززه المركب الفعلي(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ)؛ كما نهض بتوسيع قضية تفضيل المجاهدين بإدخال معلومات جديدة عليها جعلتها تمايز بين أجريهما في الحالتين الأخريين، وهما(الجهاد بالمال والنفس- والقعود عنه بعذر)؛ فالمجاهدون باشروا الجهاد مع النية، وأولوا الضرر كانت لهم نية غير أنهم لم يباشروا الجهاد؛ فنزلوا عنهم درجة.

وكذلك شكّلت الآليات البلاغية تقوية وتعزيزا دلاليين في الآيات الكريمة لما تتسم به تلك الآليات من إيجاز وإحكام تصويري يقرب المعنى ويوضحه فضلا عن خصيصتها الإمتاعية التي تسهم في زيادة تأثيرها في المخاطبين، وقد بدا ذلك واضحا من خلال:

-تقوية المعنى وتأكيده الذي نهض به(التذييل) بوصفه مؤكدا ومحكما وضابطا للدلالة؛ إذ يعمل على ترسيخ المعنى في أذهان المخاطبين، كما مر سلفا في الآية الكريمة: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) التي ذيَّلت آية سورة الحديد، التي أكدت مفاد الآية كلها بأن الله وحده لا شريك له يعلم ما تنفقونه في سبيله وقتال أعدائه، كما عزز هذه التذييل بالآية الكريمة قوة الحث والترغيب في الإنفاق سرًّا وجهرًا، وعلى الجانب الآخر عزز قوة الترهيب من الإمساك عن الإنفاق. وكذا التذييل بقوله تعالى من سورة التوبة: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) قد قوّى المعنى، وأكد سلب التساوي بين هذين الفريقين، وقرر توبيخ هؤلاء الأقوام الظالمين الذين توهموا المساواة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله.

-التحديد الدلالي وإجمال ما سبق تفصيله ، الذي نهض به أسلوب القصر لما يتسم به من تخصيص شيء بشيء معين وقصره عليه؛ الأمر الذي يوضح الصورة ويقربها في أذهان المخاطبين ويزيل ما اعتراهم من شكٍ أو إبهام أو إنكار، كما رأينا في آية سورة الأنعام:" " إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ" ؛فقد أكدت التزام النبي ﷺ باتباع ما يوحى إليه وامتثاله لأوامر الله وخضوعه لتعاليمه، تبارك وتعالى. كما ظهرت قوة أسلوب القصر التحديدية في قوله تعالى:" إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " التي أبرزت الهوة الكبرى بين الذين يعلمون ويدركون حقيقة الأشياء وبين الذين اختلطت عليهم الحقائق أو جرت عندهم بغير نظام؛ فقد أفاد القصر تقرير تفضيل العالم المؤمن على غيره وحصر الفضل للذين يعلمون ويدركون ويتدبرون ويتذكرون، أولئك هم أولو الألباب.

-تقريب الصورة إلى أذهان المخاطبين بأوجز الطرق وأدقها وأروعها الذي جاء به التصوير التمثيلي في الآيات الكريمة؛ فقد صوَّرت الفرق بين حالي(المؤمن والمشرك)؛فالأول ينعم

بالهدى والسكينة والطمأنينة واليقين بوعد الله للمؤمنين؛ لأنه يعبد إله واحد يعرف مقصوده ويتبع تعاليمه وأوامره ويتجنب نواهيه؛ فأنعم الله عليه بالرضى وسلامة الصدر والراحة التامة، والآخر لا يلقى إلا ضلالا واضطرابا وشقاء وعناء وشكا؛ فهو في حيرة من أمره لا تنقطع؛ لأنه يتخذ أندادا يعبدها من دون الله لا تملك من أمر نفسها شيئا ولا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة.

ب–التوصيات:

أما أهم التوصيات المرتبطة بهذه الدراسة؛ فهي استكمال لعمق الوقوف على خصائص الأفعال القرآنية وعلاقتها بتوجيهات الخطاب القرآني، وأبرزها ما تمثل في الآتي:

–دراسة الأفعال الإنجازية في الخطاب القرآني وتغيراته بين مرحلتي الخطاب المكي والخطاب المدني.

–الإفادة من الأبعاد التفسيرية ولمسات المفسرين في تحليل أغراض الخطاب القرآني وتنوع مستوياته؛ وفق ما أشارت إليه الاتجاهات اللسانية الحديثة، التي أكدت –بصورة أو بأخرى– أن النموذج القرآني فريد في كمال نظريته اللغوية عند وضعه حقلا للتطبيق.

هذه المقترحات قد تكون مشروعا يستكمل ما ورد من مناقشة بحثية في هذا البحث.

والله ولي التوفيق.

- قائمة المصادر والمراجع:

- أسباب النزول- الواحدي(أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد ت ٤٦٨هـ) ضبطه وصححه: مُحَمَّد عبدالقادر شاهين- دار الكتب العلمية- القاهرة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- إستراتيجيات الخطاب- عبد الهادي الشهري- دار الكتاب الجديد - ٢٠١٤-
- أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)- قرأه وعلق عليه: محمود مُحَمَّد شاكر- مكتبة المدني- القاهرة د.ت.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر - د. محمود نحلة - دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ٢٠٠٢م.
- الإيضاح، ضمن كتاب شروح التلخيص- الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)- دار السرور- بيروت - د.ت.
- البحر المحيط- أبو حيان(مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي ت ٧٤٥هـ)- تح: صدقي مُحَمَّد جميل - د.ط - دار الفكر العربي ١٤٢٠هـ .
- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- التداولية عند العلماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي- د. مسعود صحراوي- ط١- دار الطليعة- بيروت- لبنان ٢٠٠٥م .
- التفسير الكبير- الرازي(فخر الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر ت٦٠٤هـ)- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ٢٠٠٤م.
- تفسير المنار- مُحَمَّد رشيد رضا- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م-
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- للإمام عبد الرحمن السعدي-ط١- مكتبة الصفا - القاهرة ٢٠٠٤م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري(أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير ت:٣١٠ هـ)، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني،ط١، مؤسسةالرسالة،بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.
- دائرة الأعمال اللغوية، د.شكري المبخوت، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة٢٠١٠م.
- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)- تح:محمود مُحَمَّد شاكر- ط٣- مطبعة المدني- القاهرة ١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الآلوسي(أبو الفضل شهاب الدين ت١٢٧٠هـ)ضبطه وصححه:علي عبدالباري عطية،دارالكتب العلمية،بيروت لبنان- د.ت
- زهرة التفاسير-الإمام: مُحَمَّد أبو زهرة(ت١٣٩٤هـ)- دار الفكر العربي- د.ت، د.ط .
- سنن أبي داود(الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)- كتاب الجهاد- باب في الرخصة من القعود من العذر- تح: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- د.ت- رقم الحديث(٢٥٠٨).
- صحيح البخاري- أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)- ط٥ -تحقيق: مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دار اليمامة دمشق -١٩٩٣م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ) تقديم: يوسف الغوش،ط٤، دارالمعرفة، بيروت- لبنان،٢٠٠٧م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام- د. طه عبد الرحمن- ط٢- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- ٢٠٠٠م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر ت٥٣٨هـ)- تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُحَمَّد معوض - ط١- مكتبة العكبيان- ١٩٩٨م-
- اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- د. خليفة بوجادي- ط١- بيت الحكمة للنشر والتوزيع- الجزائر ٢٠٠٩م-

- معالم التنزيل- البغوي(الحسين بن مسعود ت٥١٦هـ) – تح: مُحَمَّد عبد الله الغرو وآخرين- دار طيبة للنشر والتوزيع- د.ت.
- معجم البلاغة العربية- بدوي طبانة- ط٣- دار المنارة – جدة ١٩٨٨م.
- مفتاح العلوم- السكاكي(أبو بكر مُحَمَّد بن علي ت٦٢٦هـ)- تح: نعيم زرزور- ط٢- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان١٩٨٧م-
- المقاربة التَّدَاوُلِيّة، أرمينيكو، فرانسواز- تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب ١٩٨٦.
- مقاصد الشريعة الإسلامية- الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) - ط٢- دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس ٢٠٠٧م
- النص والخطاب والاتصال- د. مُحَمَّد العبد- الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة ٢٠١٤م.
- نظرية الأفعال الكلامية العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلمات)- أوستين- د. عبد القادر قنيني- إفريقيا الشرق ١٩٩١م.

-Merriam websters- collegiate dictionary – Eleventh library of congress, 20 ٠٠